AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01063 8264

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

02-B754
30-1-02

كلمة الاستاذ محمد محمود جلال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الاخلاص صفة الأبرار وأثاب المخلصين العاملين نجاح دعوتهم رغم العوائق وعلى مر السنين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى كرمت الوطنية على لسانه وشرف الجهاد بدعوته وسيرته وهو القائل « حب الوطن من الإيمان » و « لاهجرة بعدالفتح ولكن جهاد ونية»

مضى ثلاثون عاما منذ انتقل مصطفى كامل إلى رحمة الله مؤدياً فى عمر قصير واجبات هائلة ورسالة كان يظن معاصروه من أعداء وحاسدين حين دعاهم الدعوة الأولى - أنها حلم يقظان أو فورة شباب لا تلبث حتى تنطفىء فإذا بهم يرون فى مصر أمة مبعوثة من جديد ترفع فى الشرق راية الجهاد فيشهد العالم مرة أخرى صحيفة من تلكم الصفحات التى طالما نشرتها مصر منذ فجر التاريخ تقود بها العالم فى معارج الرقى والمدنية .

ظل مصطفى كامل يدعو ويجاهد ، ويوجه الأمة التوجيه الصالح واللائق بكل ظرف ، يرقب الحوادث ويبعد بأمته عن مزالق السياسة ويحبط مايحاك ضد البلاد من الدسائس ، صادراً فى جهاده عن يقين بحقوق بلاده ومنطق سليم لاستخلاصها من الاحتلال ومساوئه غير ناس واجبه فيما يرقى بمرافق البلاد وما يرفع من شأنها فى مختلف ميادين النهوض .

أحسَّ مصطفى كامل بأن البعض من معاصريه يتوجهون للشعب بدعوات قد تفسد على البلاد جهادها بما تشوه من حدود الاستقلال ورسومه فى الأذهان وماتبعثر من جهود كانت إلى ذلك الحين سليمة منظمة ، وخشي مايحدثه إغراء اللفظ فى بعض من يستطيلون العهد وهو يجاهد للأمة جميعا وبالأمة جميعا فألهمه الله أن يطلع على البلاد بخطبة زيزينيا التي تعتبر بحق البرنامج العام لكل دعوة وطنية سليمة فى أى بلد مغصوب

وضع المرحوم مصطفى كامل فى خطبة زيزينيا حدود

الاستقلال بوجه عام وأوضح قوام الحركة المصرية بما لا يخشى معه الدلل مترسم ولا يضل معه مُسْتَرْشِد .

وإنما أعلن مصطفى كامل تأسيس الحزب الوطنى خيفة ما يصيب البلاد من تمزيق وحدتها وما يسهل للاحتلال نفث سمومه بما يتعدد من أحزاب سياسية الأصل أنها لا تكون إلا فى بلد أجلى عن حدوده المحتلين وظفر باسترداد حقوقه ولذلك دعا كل مصرى للدخول فى الحزب الوطنى حتى تخدم القضية الوطنية الخدمة اللائقة فلا يكون فى البلد المحتل غير حزب واحد هو حزب الوطن «فيزداد الطالبون للاستقلال ولتنس الأشخاص وليترك الطمع فى الزعامات والرئاسات»(١)

* * *

هذه خطبة زيزينيا بين يدى القراء ، بين يدي جيل جديد نرجوه سعيداً موفقا لأسعاد البلاد وسيرى حين يقرأها ويردد فقراتها أن كل كلمة منها تذكّر بالبلاد فى نغمة عذبة توقظ الهمة وتشحذ العزم .

---

(١) من أواخر كلمات المرحوم مصطفى كامل فى خطبته

سيحس القارىء الكريم أن كل فكرة فيها تصل الى قرارة النفس وتستقر فى الفؤاد لأنها فكرة ملهمة صادرة عن إخلاص وعقيدة وإيمان ..

سيرى القراء أن ثلاثين عاما تفرق بينهم وبين مصطفى كامل لم تمنعهم آيات حكمته ولا حرموا بها صادق نصحه !!

نعم فكأنى بمصطفى كامل وبصيرته تكشف عنها الحجب فصور فى سنة ١٩٠٧ كثيراً مما شهدته البلاد من عبث الاحتلال بعد ذلك بسنين .

خذ مثلا مسألة المجلس النيابى وموقف الانجليز من الحياة النيابية - إيقافها وإعادتها - وانظر إلى تقسيم الانجليز للمصريين إلى متطرفين ومعتدلين ثم إلى ماظهر من الانجليز فى المفاوضات المختلفة

* * *

أطمعنى فى مستقبل زاهر مارأيت بين فريق كبير من الشباب المثقف - من رغبة فى البحث ووصل الحاضر بالماضي وما شهدت من استقلال ذلك الفريق فى الرأى

وتوخى الخلاص مما درجت إليه قضية الوطن من سقيم الأوضاع . وكان من آيات هذه النهضة ما اتجهت إليه الفكرة من إذاعة الابحاث القيمة القديمة فرؤى أن خير ما يقدم للبلاد وبمناسبة الذكرى الثلاثين لوفاة المرحوم مصطفى كامل هى خطبته (خطبة زيزينيا)

وإنى لأعد اشتراكى بهذه الكلمة البسيطة فى هذه النهضة المباركة شرفا لايدانيه شرف وأسأل الله تعالى أن يكون هؤلاء الشباب أسعد منا حظا وأصدق نظرا وأقوى عزما وأيسر سبيلاً وأن يتم على أيديهم خلاص البلاد ؟

القاهرة فى غاية الحجة سنة ١٣٥٧
٢ مارس سنة ١٩٣٨

محمد محمود جلال

DT
107.6
M782X
1938

الخطبة الوطنية الكبرى

التى ألقاها زعيم الاسلام والشرق

مصطفى كامل باشا

بتياترو زيزينيا بالاسكندرية

فى مساء يوم الثلاثاء
١٥ رمضان سنة ١٣٢٥
٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتى وأبناء وطنى الأعزاء

بأي لسان أشكركم على مظاهر تكم الودية لى وانعطافكم العالى علىّ وليس لى مطمع فى هذه الحياة إلا أن أراكم متفقين معى شعوراً ورأيا وقد حققتموه فأبلغتمونى أقصى ما أتمنى

المبدأ وخادمه

ألاانى أعلم انكم انما أرتم بمظاهر تكم هذه أن تجيبوا أولئك الاعداء الظاهرين والمستترين وتسمعوهم أصواتكم جهيرة وتقولوا للملأ كله إنكم أعوان الشعور الوطنى وأنصار النهضة المصريه وان خدام هذه البلاد يجدون منكم على الدوام كل مؤازرة ورعاية

انى أعلم انكم تعتقدون كما أعتقد ان الذين يهبون قواهم

وأعمارهم لبلادهم لايحسبون لأشخاصهم وجوداً مستقلا عن المبدء الذى يعملون لنصرته. بل يندمجون فى المبدإ نفسه فكل تحية تهدى إليهم فهى تحية إليه.

ولذلك أستقبل دلائل الحب والميل التى تظهرونها نحوي على أنها إكرام لأشرف مبدأ قام ويقوم فى خدمة الانسان إلا وهو مبدأ إحياء الوطن ورد مجده واستقلاله إليه.

حياة مصر بعد الاتفاق عليها

أيها السادة إن مصر خطت فى الثلاث السنوات الأخيرة خطوات واسعات فى سبيل النهضة الأهلية وأسمعت الأمم والدول صوتا ماتعودن سماعه من قبل

ظن الساسة الانجليز أنهم إذا اتفقوا مع فرنسا على مسئلة مصر طويت أوراق هذه القضية الخطيرة وخفت كل صوت ومات كل أمل وحل اليأس محل الرجاء وصار الشعب المصري أثراً كتلك الآثار القديمة التى يأتى السائحون لرؤيتها فى كل عام.

ولكنهم أخطأوا خطأ كبيراً. نعم أخطأ أولئك الساسة الذين يظنهم العالم كله أمهر الناس فى تدبير الشؤون وإعداد

الحوادث ومعرفة المستقبل .

أخطأوا لأن العزلة التى صرنا إليها بعثت فينا روحا جديدا أرشدنا إلى الحقيقة التى لاقوام لشعب بدونها ولا حياة لأمة بغيرها ولا وجود لنفر من الناس إذا لم يتبعوها. وهى : أن الامم لا تنهض إلا بنفسها ولا تسترد استقلالها إلا بجهودها . وان الشعب كالفرد لا يكون آمنا على نفسه إلا إذا كان قويا بنفسه مستجمعا لكل عدد الدفاع وآلات الذب عن الشرف والمال والحياة .

نعم : فقهنا أن الشعوب التى لا ترجو الرقى إلا بمعونة جيرانها وأصدقائها ولا تحفظ استقلالها إلا بالاعتماد على حلفائها هى شعوب فى خطر وحياتها مهددة فى كل وقت.

الروح الوطنية وأعداؤها

دهش الذين كانوا لا يرون فينا إلا أمواتا تتحرك كما بهت أعداء الوطنية المصرية من هذه الروح الجديدة التى دبت فى الأمة وقالوا : عجبا أيحيا هذا الشعب؟ أتنهض مصر بنفسها ؟ أتعمل للاستقلال وحدها؟ أتقدر على تحقيق مطالبها

بمحض إرادتها ؟ أتقاتل اليأس والقنوط وتتغلب على الحوادث والكوارث ؟

أجل . ياأعداء مصر وألف مرة أجل . ان مصر بالغة آمالها ومحققة أمانيها بارادتها وهمتها .

أنكم تقولون ياأعداء مصر أننا عشنا القرون الطوال أذلاء تعساء يحكمنا الغير وتتبدل السلطة الأجنبية ولا يتبدل شقاؤنا وتجعلون هذا القول حجة علينا ودليلا على أننا خلقنا للذل والهوان . وأن السيادة الأهلية لن تسكن وادى النيل أبد الزمان !

كذبتم وحق مصر كذبتم ياأعداء مصر !

كذبتم على الله والناس . فما بقاء هذه الأمة بعد اشتداد لاحن والمصائب وتعدد الاهانات والنوائب ووجود لروح الوطنية فيها بعد كل ما كان الا دليل قاطع على أنه قد حان الوقت لأن تسترد حقوقها المسلوبة وتسترجع مكانتها فى الوجود .

تقولون ياأعداء مصر أنها لبثت زمنا طويلا مكبلة

بقيود الذل والاستبعاد . وتتساءلون كيف تعيش بعد ذلك في سؤدد واستقلال ؟ وفاتكم ان ذلك الماضى المظلم يزيدنا تمسكا بحقنا فى مستقبل مضيء باهر . نشيتم ان الشقاء المديد أدعى إلى هناء مثله مديد وأن شعبا قضى القرون وقواه لاتنصرف إلى خير الوطن يكون أقوى شعوب الأرض يوم يوجهها إلى هذه الغاية السامية .

تقولون ياأعداء مصر أننا لو أفلحنا لما نلنا هذا الاستقلال الا بعد حين طويل . فنجيبكم أننا لو سلمنا بقولكم لما جاز لنا أن نتأخر لحظة واحدة عن العمل لأننا لانعمل لأنفسنا بل نعمل لوطننا وهو باق ونحن زائلون . وماقيمة السنين والأيام فى حياة مصر وهى التى شهدت مولد الأمم كلها وابتكرت المدنية والحضارة للنوع الإنى كله ؟

«إن العامل الواثق من النجاح يرى النجاح أمامه كأنه»
«أمر واقع . ونحن نرى من الآن هذا الاستقلال المصرى»
«ونبتهج به وندعوله كأنه حقيقة ثابتة وسيكون كذلك لامحالة»
«فمهما تعددت الليالى وتعاقبت الأيام وأتى بعد الشروق شروق»

وأعقب الغروب غروب فاننا لا نمل ولا نقف فى الطريق»

«ولا نقول أبدا : لقد طال الانتظار»

«إننا وجهنا قلوبنا ونفوسنا وقوانا وأعمارنا إلى أشرف»

«غاية اتجهت اليها الأمم فى ماضى الأيام وحاضرها وأعلى»

«مطلب ترمى إليه فى مستقبلها»

«فلا الدسائس تخيفنا ولا التهديدات تقفنا فى طريقنا»

«ولا الشتائم تؤثر فينا ولا الخيانات تزعجنا ولا الموت نفسه»

«يحول بيننا وبين هذه الغاية التى تصغر بجانبها كل غاية»

«نعم. أنا لو تخطفنا الموت من هذه الدار واحدا بعد واحد»

«لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا كونوا أسعد حظا وليبارك»

«الله فيكم ويجعل الفوز على أيديكم ويخرج من الجماهير المئات»

«والألوف بدل الآحاد للمطالبة بالحق الوطنى والحرية»

«الاهلية والاستقلال المقدس !»

«بلادى ! بلادى ! لك حبى وفؤادى . لك حياتى»

«ووجودى . لك دمى ونفسى . لك عقلى ولسانى . لك لبى»

«وجنانى . فأنت أنت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر»

حب مصر وأعباؤها

يقول الجهلاء والفقراء فى الادراك انى متهور فى حبها وهل يستطيع مصرى أن يتهور فى حب مصر ؟ إنه مهما أحبها فلا يبلغ الدرجة التى يدعو أليها جمالها وجلالها وتاريخها والعظمة اللائقة بها .

ألا أيها اللائمون انظروها وتأملوها وطوفوها واقرأوا صحف ماضيها واسألوا الزائرين لها من أطراف الأرض: هل خلق الله وطنا أعلى مقاما وأسمى شأنا وأجمل طبيعة وأجل اثاراً وأغنى تربة وأصفى سماء وأعذب ماء وأدعى للحب والشغف من هذا الوطن العزيز ؟

اسألوا العالم كله يجبكم بصوت واحد : ان مصر جنة الدنيا وأن شعبا يسكنها ويتوارثها لا كرم الشعوب إذا أعرها وأكبرها جناية عليها وعلى نفسه اذا تسامح فى حقها وسلم أزمتها للاجنبى .

«انى لو لم أولد مصريا لوددت أن أكون مصريا»

قد يرى السفهاء والطائشون أن الانتساب لشعب

مستعبد كالشعب المصرى مما لايليق بأنسان . ولكن أى شرف يطمع الحر فيه أكبر من العمل لإحياء الأمة التى سبقت الأمم كافة فى العلم والمدنية والأدب ؟ أى رفعة يسعى الشريف إليها أسمى من إنهاض شعب كان أستاذ الشعوب البشرية ومربى العالم كله ؟ أى سؤدد ترمى النفوس الأبية إليه أعلى من إخراج الوطن المصرى من الظلمات إلى النور وإحلاله المحل الأول بين الأوطان الأخرى التى كانت فى الدكنة الحالكة يوم كانت بلادنا مشرقا للعرفان ؟

ليت شعرى . أى لذة وسعادة ومكافأة يطلبها الوطنى المصرى أكبر من اشتراكه فى هذا العمل الخطير الذى هو اجل عمل يراه العالم فى القرن العشرين ؟ أن المكسب الادبى للوطنى المصرى من هذه الخدمة يربو على أتعابه ومجهوداته بكثير

متطرفون !

أيها السادة . يروق بعض الجهلاء والمسخرين لخدمة الانجليز أن يلقبونا « بالمتطرفين » ويقسموا الامة فرقا وأقساما وما دروا أنه لايصح أن يوجد فى البلاد الفاقدة

إستقلالها المتحكم فيها الاجنبي إلا حزب واحد : وهو حزب الوطن . حزب الحرية . حزب الاستقلال .

جهل أو تجاهل أولئك التعسون إنه ليس للبلاد التى يحتلها الاجنبي إلا سياسة واحدة : وهى سياسة المطالبة بالاستقلال . وإن كل قول أو عمل يؤدي إلى إضعاف الروح الوطنية وهدم جزء أو كل من ثقة الامة بنفسها وبمستقبلها هو أكبر أذي يلحق بالبلاد .

نسى أولئك الضالون أن قانون الحاكم فى معاملته للمحكومين خاضع لدرجة احترامه لهم فان رآهم أمواتا فى أزياء أحياء يقولون مالا يعتقدون ويطلبون من الإصلاح كما يطلب السائل الإحسان لا كما يطلب صاحب الحق حقه . استبد فيهم وسخرهم لسلطته كما تسخر الانعام !

نلقب بالمتطرفين ! ولماذا ؟ لاننا نطالب بحقوق مصر واستقلالها ! لاننا نذكر إنجلترا بشرفها وعهودها ووعودها ! لاننا نقول لها بصوت الحق والاعتقاد القوى أن المستقبل يكفل ذلك الاستقلال وأنه خير لها ألا تقاوم الحوادث فيما

تعد . وألا تحاول إعدام أمة خلقها الله للحياة والعمل !

متطرفون ! لأننا نعلن ثقتنا الكاملة بمستقبل بلادنا ونقول لهذه الأمة فى الصباح والمساء : اليوم عسر وغداً يسر اليوم أسر وغداً نصر . اليوم احتلال وغداً استقلال . اليوم عناء وشقاء وغدا رخاء وهناء !

متطرفون ! لأننا نقول للامة اعملى وحافظى على السكينة . إياك والقلاقل . فهى تخدم العدو وتضر بالوطن. إياك والانقسامات فانها منشأ الخراب والدمار . اياك وهوس العداوات الدينية فانها آفة الآفات وجالبة المحن. اياك وسوء ظن الملأ المتمدين بك فان الشعوب فى المدنية متضامنة وياشقاء من سار ضدها !

متطرفون ! لاننا نقول للامة خذي من العلم أوفر قسط وتسلحى بأسلحته واملأي وادى النيل من نوره وردى إلى الفقير حقه ونصيبه من هذا المنهل العذب ؟

متطرفون ! لاننا نردتهم العدو ونثبت للعالم كله اننا متمدينون وانه ليس للتعصب بيننا وجود وأن الاسلام عامل

قوى لترقية الامة ونشر أنوار المدنية فيها .

متطرفون ! لاننا رفعنا أصواتنا محتجين على فظيعة الفظائع فى دنشواى وعارضنا السياسة الانجليزية فى دعاويها ووقفنا فى وجوه أعدائنا والحق سلاحنا والصراحة عدتنا والاقدام مطيتنا !

متطرفون !لاننا نمثل مصر للامم تتدفق حياة ونشخصها قوية ناهضة شريفة المقاصد أبية لاترضى المذلة ولا تعرف الكذب والخداع !

متطرفون ! لاننا لانطلب استعمار بلاد الغير ولا استعباد شعب من شعوب الارض . بل نقنع بطلب الاستقلال لوطننا .

فان كنا نعتبر متطرفين لاننا نعلن ذلك كله ولان هذه خطتنا . فاكرم بالتطرف ويا فخارنا بأن نلقب بالمتطرفين.

من منكم لايفخر بأنه متطرف وأيكم لايريدان يكون سائر المصريين متطرفين ؟

وهل يكون الاعتدال فى هذه الحالة شيئا آخر سوى

الخوف والجبن والرياء واستعمال خطتين واتباع سياستين ومخاطبة الناس بلسانين ؟ ومن ذا الذى يرضى لنفسه ولقومه بهذا الاعتـدال . وما هو فى الحقيقة الا المذلة فى أبشع مظاهرها والموت الشنيع الموجب لاحتقار الامم جمعاء .

عجبا عجبا ! أنلقب نحن بالمتطرفين لاننا نطلب استقلال وطننا من أشرف السبل وبأكمل الوسائل ولا نريد أن نتعداه بالاعتداء على أحد على حين أن الانجليز لم يكتفوا باستقلال وطنهم . بل استعبدوا الامم وتوسعوا فى الاستعمار وملـكوا البحار ولا يزال اكثرهم يقول : هل من مزيد؟

هل يلقبونهم بالعقلاء المدبرين لانهم انجليز ونلقب نحن بالمتطرفين لاننا مصريون ؟

هل الوطنية التى تروق وتعجب هناك تؤذى وتؤلم هنا؟

هل مصر دون بريطانيا فى الجمال حتى تحدد محبـة المصريين لمصر ولا يعرف لحب الانجليز لبريطانيا حد؟

كلا وأيم الحق كلا . ان مصر جديرة بأن تحب بكل قوة . بكل عاطفة . بكل جارحة . بكل نفس . بكل حياة!

لاعجب إذا وقف من لايعرف هذا الحب باهتا أمام من يعرفه .

لا عجب إذا دهش الذى لايتألم لمصاب وطنه ولا يشعر باوجاع بلاده ممن يتألمون ويشعرون .

لاعجب إذا كان الذين خلقوا وقلوبهم من صخر يعدون وطنية من ولدوا ولهم قلوب إنسانية جنونا في جنون .

ألا فابكوا! سوء حظكم واندبوا أعماركم أيها الفقراء فى الوطنية . فنحن فى شقائنا وبلائنا أسعد منكم حظا وأوفر نعيما مهما أوتيتم من خيرات الدنيا ونعم الأرض . فان قلوبنا ملآى بحب الاوطان . وماحب الأوطان الا الحياة الفائضة والسعادة الحقيقية والشرف الأعلى والفخار كل الفخار !

أعداء الوطنية

أيها السادة : لا يجهل أحد منكم أن الحركة الوطنية المصرية أزعجت محبي الاستعمار من الانجليز . فحاربوها بدنشواى فخابوا وبزيادة جيش الاحتلال فأخفقوا وبتهمة التعصب الدينى ففشلوا وأضحكوا العالم طرا . وهاهم هؤلاء الآن

يحاربونها بالخونة والمنافقين بعد أن عهدوا الامر للدخلاء طويلا فلم يبلغوا منا مأربا .

وإنهم لمخفقون أيضا فى هذه السياسة الجديدة . إنهم لو جردوا جيوشا من أعداء الحركة الوطنية المصرية فانها لاتزداد أمامهم إلا قوة ومحبة وثباتاً وأقداماً .

ليقلبوا نظام التعليم مااستطاعوا وليحاربوا الناشئين ماأرادوا فان رجال الغد لايكونون إلا مصريين وطنيين متشربين بمحبة بلادهم متطلعين لان ينيلوها من المجـــد والسؤدد أسمى مما نالت الامم الاخرى .

لينفقوا الاموال ذات اليمين وذات الشمال شراء للضمائر الخربة والنفوس المنحطة فانهم إن كسبوا فردا واحدا قام من الوطنيين الصادقين العشرات لهـدم مايبنون ودك ما يقيمون .

«ان أمة دبت فيها روح الوطنية وطمحت نفسها»
«للاستقلال لاتموت أبداً . وأن صواعق السياسة كلها لاتحول»
«ضميرا لاذ بالوطن عن وجهته !»

أيها السادة . إن الوطنية واحدة لا تتعدد وقد يضل الإنسان فى أمور كثيرة ويخطىء فى مسائل عدة ولكن إذا كان هناك شعور لا يضل الرجل فيه ولا يخطىء أبداً فى تقديره وتكييفه وإظهاره بكل مظاهره فهو الشعور الوطنى

لا يحتاج المرء إلى علم ولا إلى فلسفه ولا إلى خبرة وتجارب نيقول إذا سأله سائل: « ما رأيك فى مسألة احتلال الانجليز لبلادك ؟ » :

« ان خروجهم غاية آمالى وأن العمل له أقدس الفروض المحتمة على »

أن أجهل الشعوب وأبعدها عن العلم والحضارة والمدنية تشعر بهذا الشعور لأنه طبعى ولا يكون الانسان انسانا الا به

لذلك كان صخب الأمم شديداً على من قالوا بأماتة هذا الشعور ونادوا بأن الوطن خيال وإن الراية قدة من نسيج وأشاروا باعتصاب الجنود لو قامت الحرب ودعت الامة أبناءها الاشداء للذب عنها .

أنظروا إلى فرنسا وهى الدولة التى امتلأت صحف

تاريخها بذكر الوطنية وآثارها الفخمة وورث الابناء عن الآباء فيها حب الوطن والدفاع عنه حتى صار هذا الشعور مقدساً لا يقربه أحد بسوء . كيف تهتز الآن من شمالها الى جنوبها ويقول خدامها الامناء بأعلى أصواتهم .

« حذار حذار من «هرفى» وأنصاره فانهم يريدون هدم بناء الوطنية الفرنسية أى بناء المجد الحقيقي والحياة العالية وان عدوى أفكارهم أضر بفرنسا من كل جيش فاتح

فاذا كان هذا مبلغ سخط الشعوب القوية الراقية على أعداء الوطنية . فكم يجب أن يكون سخطنا شديدا عليهم ونحن أحوج شعوب الأرض إلى هذا الشعور الذى لا ننال حقا إلا به ولا نبلغ مأربا إلا بفضله

يتبجح الخونة علنا ويقولون اننا رضينا بالاحتلال سلطانا وبالانجليز سادة . ويجرأون على الطعن فى الوطنيين المطالبين برد مجد مصر وشرفها إليها . فهؤلاء يستحقون منكم المقت والاحتقار . هؤلاء هم العار الحي الذى دونه كل عار . هؤلاء هم الذين يعملون لأن تنظر الأمم لمصر والمصريين بالازدراء

كلما عملنا نحن لأن نجعل لبلادنا وأبناء وطننا مقاماً محموداً عند الأمم جمعاء

اننا مارأينا وماسمعنا ولاروى لنا التاريخ أن أمة سلبت حقوقها واختلس استقلالها وضربها الأجنبي ضربة الاستبداد والاستعباد يقوم من أبنائها من يمجد هذا الأجنبي ويقول له:

« أنت السيد وأنت المنعم المتفضل فافعل ماشئت ؟ »

أسمعتم أن أرلنديا واحداً قال هذا القول ؟ أوصل إليكم أن بولونياً من أجهل البولونيين طأطأ رأسه أمام الحاكم الأجنبي ؟ أم علمتم أن صغار البولونيين أدهشوا العالم كله أتمسكهم بوطنيتهم ؟

أن من يظن أن الانجليز يحبون الخونة يخطىء خطأ كبيراً. نعم انهم يستخدمونهم لأغراضهم ولكنهم يحتقرونهم أشد الاحتقار لأن شعباً ينشأ الفتى فيه وهو يرى تملك الارض ومن عليها حقا من حقوق أبناء جلدته لا يعتبر الخيانة لا جناية الجنايات والاثم الذى يعد كل عقاب له خفيفاً .

أين كانت تكون عظمة إنجلترا وسلطتها لو كان فيها

من الخائنين من ترى مصر ؟ هل كانت تسود الأمم وتملك رقاب الشعوب وتبلغ من الثروة والسؤدد هـذا المبلغ ؟

كلا وأيم الحق كلا . إنها كانت تكون ممزقة الوجود متفرقة الكلمة متباينة الآراء يلعب بها الأجنبي ويسيرها فى الطريق الذى يختار

فـلا قوام لأمة ولا سلامة لبـلاد إلا بقوة العقيدة الوطنية . ولا تدرك الشعوب هذه القوة إلا إذا كانت شديدة الحكم على من يتلاعبون بالوطنية قاسية فى تأديبهم ومعاقبتهم

سمعت البعض يقول عنى إنى شـديد فى تقريع من خالفوا الواجب الوطنى ومالوا عن مصلحة البلاد فأجيبهم الاثوم بأنه إذا صح التسامح فى بعض الأمور وفي ظروف معينة فإن التسامح فى الوطنية إعدام لها وقضاء عليها «وأن من يتسامح فى حقوق بلاده ولو مرة واحدة يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان »

إن الشعور الوطنى لا يصان حقيقة ولا ينمو فى أمة فعـلا

إلا إذا كان الذين لا يحترمونه ولا يخدمونه يعاملون بقسوة وشدة ويشهر بهم فى كل مكان

سياسة المغالطة

وينادى البعض فى هذه الأيام بأن كلمة الاستقلال توجع الانجليز وأنه أشير عليهم من بعض أنصار مصر فى إنجلترا بأن الأصلح والأوفق الاكتفاء بطلب الاصلاح وإهمال مسألة الجلاء والاستقلال أو على الأقل تأجيلها إلى حين ويعمل ذلك البعض لترويج هذا الرأى ويندفع فى طريقه طاعناً فى المطالبين بالاستقلال قائلا إنهم متطرفون !

وإنى لمفصح الآن أمام الأمة كلها عن رأيى فى هذه السياسة التى يتوهم ذلك البعض أنها أكبر ضرب من ضروب الدهاء

أحرار الانجليز ومصر

إن العمل بآراء الانجليز الذين يشتغلون بمسألة مصر فى إنجلترا ليس مما يطالب به مصرى. لأن هؤلاء الانجليز يعملون لخدمة إنجلترا بالذات : فهم يريدون أن تكون سياسة لين ومهارة بدلا من أن تكون سياسة شدة وصلابة وهم أن

اتفقوا معنا فى بعض المسائل قد يختلفون فى الجوهر ولذلك نرى بعضهم يرى بتزيد الاستياء الحركة الوطنية الداعية إلى الاستقلال .

فنحن مسلوبون والانجليز هم السالبون ونحن طلاب حق مقدس هم مغتصبوه فلا سبيل إلى الاتفاق بيننا وبينهم إلا باعترافهم بحقنا ورده إلينا .

أما القائلون بأنه يتم الاتفاق بين المصريين والانجليز على أساس تضحية الشرف البريطانى وتضحية استقلال مصر أى خيانة المصريين لوطنهم وخيانة الانجليز لشرفهم ووعودهم وعهودهم . فانما يوجهون إلى الأمتين أكبر مسبة ويطلبون اتفاقا باطلا . وأى احترام لعقد أساسه الخيانة الصريحة ؟ إننا نشكر كل إنسان ينصف مصر ويعترف بحقوقها كلها أو بعضها . ولكننا لا نقيد برأى أحد ولا نتأثر بسياسة خاصة بل يجب أن نكون خدام العقيدة الصحيحة السليمة خدام العقيدة الوطنية .

فان قال المنتصرون لمصر فى بعض أمورها من أحرار

الانجليز ان المطالبة بالاستقلال تؤلم قومهم وطالبونا بالعدول عنها وجب على كل مصرى أن يجيبهم قائلا « لكم دينكم ولى دين »

فساد سياسة المغالطة

يتوهم أنصار سياسة المغالطة أنهم مهرة قادرون وسياسيون محنكون . فلذلك هم يريدون أن يخدعوا الدولة الانجليزية ويغلبوها بقوة الدهاء. هم يقولون « لنهجر طلب الاستقلال ولنطالب الانجليز بالاصلاحات الداخلية مثل تأسيس مجلس نيابى ونشر التعليم حتى إذا صرنا أصحاب الحول والطول فى البلاد قلنا لهم « انجلوا عنها » فلا يستطيعون إلا أن ينجلوا خاضعين ممتثلين »

اللهم إنى أعترف بأنى لست من المهرة فى السياسة حتى أدبر مثل هذا التدبير وأصرح بأنه لم يخطر لى لحظة واحدة على بال بأنى قادر على أن أصرع السياسة الانجليزية بمثل هذه المهارة الفائقة كما أنى مع عداوتى الأكيدة للاحتلال لا أرى الانجليز قد تحولوا بسرعة البرق أطفالا صغاراً

حتى تدخل عليهم هذه الحيلة المضحكة .

باطلا يعتقد السذج أن الانجليز مع كونهم ينوون البقاء فى مصر يقبلون منح أهلها حكومة دستورية . لأنه لو جاز ذلك لكان وجودهم فى هذه الديار يوم يؤسس فيها مجلس نيابى تام السلطة واسع السلطان نافذ الكلمة لغوا ولاصبحوا فى هذا القطر لاعبين .

أن اعطاء المصريين مجلسا نيابيا حقيقيا — لاصورة تراد بها السخرية وذر الرماد فى العيون — هو تجريد للاحتلال من كل سلطة . فلا يستطيع المعتمد البريطانى ابقاء مثل دنلوب فى نظارة المعارف مع سخط الأمة كلها عليه ولا يمكن تعيين مثل المستر هيل فى مدرسة الحقوق والاكفاء من المصريين يعدون بالعشرات ان لم نقل بالمئات . ولا يقدر أن يطلب ٤٠٠ الف جنيه لبناء ثكنات للجيش البريطانى والبلاد فى أزمة شديدة وحاجته للمال ظاهرة للعيان . ولا يتيسر له صرف تلك الاعتمادات الطائلة للسودان ومصر فى أشد الحاجات اليها . ولا يجد سبيلا لمسخ الحكومة الاهلية وتمكين الانجليز

من كل فروعها ومحاربة الأمة فى كل نزعاتها وسلبها جميع حقوقها

انما تساعد انجلترا بكل قوتها على تأسيس حكومة دستورية فى هذه الديار يوم تنوى حقيقة الجلاء عن مصر ولذلك طلبت دائما المجلس النيابى مقرونا بطلب الاستقلال

الا أن الخطة التى وضعتها الحكومة الانجليزية عند مااحتلت هـذا القطر هى ترشيح المصريين لأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم واقامة معالم الدستور بينهم ثم الجلاء عن بلادهم . هى خطة متماسكة كل التماسك ولا يمكن تنفيذ مبدأ من مبادئها دون المبدأين الآخرين . فترشيح المصريين لأن يحكموا أنفسهم يجعلهم أقوياء أشداء راقين فى الشعور الوطنى فلا يرضون بحكم الأجنبى ومنحهم مجلسا نيابيا يحصر السلطة فى أيديهم فلا يبقى للانجليز بجانبهم عمل ما .

لذلك صرحت أيها السادة بفساد سياسة المغالطة وبضررها الشديد بمصر والمصريين . لأنها تؤدى إلى اعتراف فريق من الأمة بقبول الاحتلال وتظهره مظهر الضعف الشديد ولا تثمر ثمرة ما . هـذا فضلا عن كونها قاتلة للروح

الوطنية بإبعادها المصريين عن ذكر الاستقلال والنطق به

سياستنا

أسمع المعترضين يقولون . « وبم تمتاز سياستكم على سياستهم وما ثمراتها ؟ »

فأجيب بأن سياستنا هى سياسة الصراحة والمناداة بالحق والدعوة للاستقلال . وهى وحدها الموصلة إلى كل الغايات الحسان فالصراحة وقول الحق من الخلال التى تحمل الحاكم على احترام المحكوم.

فالأنجليزى لايشك فى ان كافة المصريين يودون الاستقلال من أعماق قلوبهم فاذا رأى بعضهم يقول عكس ذلك ويتحبب اليه ويطعن فيمن يخالفونه فى خطته عرف أنه منافق واحتقره ورمى الامة بعدم الاستعداد للاستقلال.

وقد قال غمبتا حقا وصدقا: «لأجل أن تنال محبة الأنجليز يجب أن تنال احترامهم »

ان الأنجليز أنفسهم فى حاجة لمن يسمعونهم الحقيقة الصارعة . وهى إن أساءتهم وآلمتهم فى الظاهر أفيد

لهم فى الواقع من نفاق المنافقين وكذب الكاذبين

أليس أولئك المنافقون هم الذين أدخلوا فى نفس اللورد كرومر اعتقادات كاذبة فى الأمة المصرية فاعتدى عليها قولا وفعلا وحفر بيده هاوية بينها وبينه بفظيعة دنشواى وبسببها فى وطنها ودينها حتى فارقها وقلوبها وألسنتها تشيعه بالسخط الشديد ؟

فمن من الانجليز يرضى لشرف بلاده ومصلحتها أن يكون كل عهدها فى مصر كرومريا ؟ ألا يقول معنا بضميره إن لم يقل بلسانه إن الصراحة والصدق هما أمتن أساس لاشرف سياسة

الاستقلال والوصول إليه

إن الذين يطالبوننا بعدم ذكر الاستقلال إنما يريدون أن تموت الروح الوطنية فى مصر أى أن تموت الأمة المصرية لأن حياة هذه الأمة ومستقبلها مرتبطان بمقدار قوة هذه الروح فى مصر

يتساءل البعض عن الوسيلة الموصلة إلى الاستقلال وهذا تاريخ الشعوب البشرية يدلهم على أن الوسيلة الموصلة

إلى الاستقلال تنحصر فى بث روح الوطنية الصحيحة والشهامة والاقدام فى الأمة وإعلاء ملكتها وإيجاد حب السؤدد والرفعة ومسابقة الأمم الراقية فيها. وجعل الاستقلال رائدها .

فإذا تمكنت هذه الروح وتلك النزعات من كل مصرى فتحت المدارس العلمية والصناعية والتجارية والزراعية فى كل مكان . وظهرت آثار النخوة والهمة والتضامن فى كل جهة وناحية واتحدت الأمة فى الغايات والمقاصد وازدادت ثروتها فى المال والعلم والوطنية والوئام. وقضت على كل عمال الخصام والانقسام . وصارت أمة من أقوى الأمم فعلا .واضطرت انجلترا يومئذ لأن تتفق معها على الجلاء والاستقلال تفضيلا لمودتها على عداوتها لأن أمة تبلغ هـذا الشأن لاتلبث أن تستخدم الحوادث ـ وما الحوادث مسيرة بارادة دولة أو يرغبه إنسان ـ فتنال استقلالها رغما من كل معارض فيه

فالدعوة للاستقلال وبث الروح الوطنية الطاهرة هما المؤديان إلى تحقيق آمال الأمة المصرية فليكن معتقد المصريين

جميعاً إن نجاة مصر لاتكون إلا بهمم المصريين وإن ارتقاءنا موكول إلى عزائمنا فلنطلب النهوض من أنفسنا ولنعمل له بالهمة والصدق والاتحاد .

يقول البعض إن المناداة بالوطنية كلام فى كلام ونسي ذلك القائل أن أهم الاعمال البشرية وأرقى الجهود الانسانية تنحصر فى إدخال عقائد جديدة فى النفوس لان العقيدة تحرك الجبال .

فإدخال الروح الوطنية فى نفوس المصريين لتجتمع كلمتهم حول الوطن العزيز ويتفقوا فى المطالبة بمجده واستقلاله لهو أكبر الأعمال .

ومن قال ضد ذلك فقد أنكر الديانات وتأثيرها والتاريخ وأحكامه والعوامل الفعالة فى الشعوب كلها .

العالم ومصر

أيها السادة عرف المصريون أجمعون أن اعتقاد العالم فيهم قد تغير وأنه أصبح يرى فيهم أمة حية رشيدة بعد أن كان يعتقد فيهم ضد ذلك . ولماذا ؟ أليس لأنه علم أنهم محبون

لوطنهم راغبون فى خيره واستقلاله وأن الحركة الوطنية المصرية فى نمو مستمر

ليقل لنا الطاعنون فينا أكانت تبلغ هذه الحركة شأوها الحالى لو لم تكن قد سيرت بقوة وصراحة صارمة لا محاباة فيها ؟ أليس من الطبعى لمن سلب حقه أن يعلو صوته بدرجة صوت سالبه ، إن لم يرتفع فوقه ؟

فأى لوم يوجه إلينا ، إننا فى كل أقوالنا وكتاباتنا وأفعالنا نذكر الأمة الانجليزية بالكرامة والاحترام. فهل فعل المحبون للاستعمار من الانجليز فعلنا ؟ هل قالوا مثل قولنا هل كتبوا مثل ما كتبنا ؟

كلا وألف مرة كلا . إنهم ما أسمعونا إلا الشتائم والمطاعن البذيئة والتهم الباطلة ، وهذا شيخ سياستهم لورد كرومر أبت عليه آدابه وتجاربه وخبرته أن يترك مصر دون أن يسب أهلها جميعا ويلقبهم بالعميان ويقضى عليهم بالذل إلى أبد الزمان ، فهل قام مصرى واحد يسب الامة الانجليزية كما سب لورد كرومر الامة المصرية ؟ هل خالف واحد منا

الأدب والكمال أو نسى سمو القضية التى نخدمها وقلد اللورد فيما قال :

لا ريب فى أن العدو نفسه يجيب سلباً أمام ضميره ويعترف بأن المطالبين باستقلال مصر ساروا فى طريقهم والحمية والحكمة عندهم متلازمان

المعارضة الوطنية والحكومة الانجليزية

أيها السادة إن الحكومة الانجليزية التى نخارها فى وطنها الجدل والمناقشة والسعي وراء الحقيقة تعلن عجزها فى مصر إذا جارت أولئك المضطربين من الحركة الوطنية النادبين سوء حظهم لوجود أفراد فى هذه الامة يقولون الحق جهارا ولا يخافون فيه لومة لائم، لان الحكومة القوية تزداد قوة بفضل المعارضين الواقفين لها بالمرصاد المنددين بسيئاتها المشهرين باغلاطها الدالين لها على عيوبها ، فما بالك بسلطة الرجل الفرد بسلطة الاجنبي الجاهل بأخلاق الأهالى ونزعاتهم ومطالبهم ورغائبهم ؟

أليست هى أحوج السلطات إلى قوة معارضة تقف

أمامها موقف الخصم العنيد الذى لا ينزل عن حق ولا يسكت على عيب ولا يستر نقصا ولا يجامل فى خطأ بل ينادى بما يراه ويعتقده وينتقد الاعمال بصراحة وبطش شديد ؟

ألا إن حكومة كحكومة مصر لا يزال شكلها ونظامها أبعد الاشكال والنظم عما يرجوه المصريون لبلادهم ويطلبونه فى الصباح والمساء لاجدر حكومات العالم بأن تسمع أصوات المخالفين لها وتنظر فى انتقاداتهم بعناية لا بتعنت وغيظ. فان الموقف موقف خدمة عامة وعمل للمصلحة الشاملة لا موقف خصام وعناد .

يقول بعض الصحف أن الحكومة تأبى تقرير ذلك الامر النافع وهذا المشروع المفيد لأن المعارضين أو المتطرفين أو المتحمسين أو أعداء انجلترا فى مصر طلبوا ذلك الامر وهذا المشروع . وأن المسألة صارت إلى المشاكسة والعناد والمبالغة فى النكاية بالخصم .

ومثل هذا القول هو أكبر مسبة توجه إلى رجال الحكم! ان الحكومة الصالحة العاملة لخير الرعية هى التى

تلتقط الحقيقة انى وجدتها وتعمل بالرشد والصواب ولوكان خصمها هو مرشدها . فهى تزداد قوة على قوتها ونفوذا عند الرعية اذا اتبعت رأى خصمها متى كان حقا. لانها تثبت بذلك أنها حكومة خير ورشاد لا حكومة طيش واهواء.

أما اذا اعتقد الجمهور فى الحكومة انها لا تعمل الا ما تريد وانها تهمل كل صوت يرتفع بالحق مادام قائله ليس من مملقيها فإن مقامها يسقط فى نظر الناس ويسىء الكل الاعتقاد فيها وتكون قد أوجدت بنفسها وبإرادتها الشقاق والافتراق بينها وبين المحكومين .

أى معنا لافتخار الانجليز بسيادة حرية القول وحرية الأقلام فى مصر اذا كانت هذه الحرية لا تفيد الحكومة شيئا ولا تصلح المعوج من أمورها ؟ وهل القصد من هذه الحرية أن يسمح للمصريين بأن يبكوا استقلالهم وينادوا بالويل والثبور على سالبيه ليس الا ؟

اللهم ان حرية لا تعطى الأمة حقا فى ادارة شؤون البلاد ولا تجعل للناطقين باسم الشعب سلطانا أدبيا محترما عند

الحاكمين لحرية أجنبية عن حرية الشعوب المتمدينة ولأهانة حقيقية للامة تقدم اليها فى شكل نعمة .

سيئات المحتلين وفساد حكمهم

ماذا يريد الانجليز منا ؟ أيريدون أن نسمى سيئاتهم حسنات ونصفق لضياع حقوقنا واستيلائهم على بلادنا وتجريدهم إيانا من كل سلطة ونفوذ ؟ هل كانوا يسرون بمثل هذا الحال لو كانت بلادهم محتلة بدولة أجنبية ؟

اتفاقية السودان

مَن مِن المصريين يذكر اتفاقية السودان ويشكر المحتلين ؟ وكيف يشكرهم وهم قد ضغطوا على حكومة فى قبضتهم فأتت ما أرادوا مع مخالفة الامر للفرمانات السلطانية وبطلانه من الوجهة القانونية ؟

من ذا الذى يمدح هذه السياسة . سياسة القوة والجبروت التى أنكرت حقوق مصر فى السودان فعلا بعد أن روَّينا أرضه بدمائنا الغالية وأنفقنا عليه الأموال الطائلة ؟

أيه العدل ؟؟

أى مصرى يرضى عن قوم لا يعرفون العدل والانصاف والمساواة وتلك الكلمات الضخمة والمعانى الفخمة إلا إذا كان الأمر متعلقا بمصرى . أما إذا كان له مساس بانجليزى فلا عدل ولا انصاف ولا مساواة .

أليست الوكالة البريطانية هى التى أقامت الدنيا وأقعدتها يوم ادعى أمامها أحد الارمن بأن أخاه سجين فى سراى رأس التين وأنه يعذب بغير حق ؟ ألم تنتدب يومئذ المستر شابمن للتحقيق وتفتيش السراى أى القيام بعمل لم نسمع بمثله فى حكومة أخرى . ألم تقل يومئذ فى الجرائد الخادمة لسياستها أن هذا أكبر مظهر من مظاهر العدل وأنه يحق للمصريين أن يشكروا المحتلين ليلا ونهاراً ويرتلوا آيات الثناء عليهم ؟

فأين هذا العزم اليوم ؟ أين تلك الهمة العالية فى تأييد العدل وعدم التميز بين الصغير والكبير ؟

كيف سكنت عواطف المدنية والانسانية والانصاف والمساواة مرة واحدة فى قلوب السادة الانجليز لما اتهم

عالم من كبار العلماء الفرنسيين مستر دنلوب بتهم شنيعة يأبى الحر قبولها والسكوت عليها

أين المظهر العادى للعدل أيها المحتلون ؟ أين أبناء الأمة التى تعد من أكبر مفاخرها عدم التستر على مرتكب أثيم؟ أين اختفوا؟

أين هم لنسمعهم الحق الذى لا ريب فيه ونقول لهم بصوت جهير إن عدم محاكمة دنلوب بعد الفضائح التى أعلنها المسيو لامبير معرة كبرى على الاحتلال والمحتلين ؟

ينسب البعض سكوتهم أمام هذه التهم الصريحة إلى أنهم لا يريدون إرضاء الرأى العام أو الظهور أمامه بمظهر الضعف

حقا إنها الحجة تضحك وإنها لسياسة لا ترضاها لنفسها حكومة « بهنزين » !أيظن المسيطرون من الانجليز أن إخراج دنلوب من المعارف أضر بالسياسة الإنجليزية من بقائه ؟

إننا كنا نعتقد أنهم أذكى وأفطن من أن يقولوا ذلك . وإلا فكيف فاتهم أن بقاء دنلوب هو أكبر وصمة للاحتلال

وإننا لو كنا نريد تحقير الحكم البريطانى فى مصر لما طلبنا منهم أكثر من بقاء دنلوب بعد تهم الأستاذ لمبير أليس بقاؤه أكبر دليل نقدمه للأمة على أنه آن لها أن تترك مدارس الحكومة خاوية لا يقصدها طالب وتؤسس هى مدارس لأبنائها بأموالها وهم القادرين من رجالها لتنال الاستقلال العلمى والأدبى وتستريح من أعمال دنلوب ومساعيه ؟

إذا كان الأستاذ لامبير يقرر أن خطة دنلوب هى التى دفعت بطلاب الحقوق إلى صفوف الوطنيين فصاروا فى مقدمتها : فكيف لا يدرك الإنجليز اننا لو كنا لا نرمى إلا إلى جمع كافة القوى الحية ضدهم وإن هذه طلبتنا الوحيدة وإننا لا نريد الخير لبلادنا ولا نطلب الإصلاح . لا بتهجنا ببقاء دنلوب عاملا على زيادة الوطنيين المصريين ومجداً فى بث روح العداء فى قلوب الناشئين للانجليز واحتلالهم ؟ إن الأمة المصرية تنظر اليوم بمزيد الاهتمام إلى ما تنوى الوكالة البريطانية عمله مع دنلوب فإن هى تركته وشأنه علم من لم يكن يعلم فى هذا القطر وفى غيره من الأقطار أن العدل خيال فى مصر

لاحقيقة وأن الانجليز يغفرون لرجالهم كل السيئات ويتربصون للمصريين فيعاقبونهم على أصغر صغيرة .

فإذا كانت هذه هى النتيجة التى يعمل لها المعتمد الانجليزى الجديد فليفعل فإنما هو يهدم بيمينه البقية الباقية من نفوذ بلاده عند المغرورين الذين لم يسيئوا بها الظن تماما ويقوى عقيدة الذين لايرون فى نواياها ومراميها شيئا من الخير لمصر والمصريين .

محاربة الاكفاء من المصريين

كيف يطالب المصريون بأن يحسنوا الظن بالمحتلين وهؤلاء هم الذين يدعونهم كل يوم إلى إساءة الظن بهم .

كيف يصدق العلماء والفضلاء والأكفاء من المصريين أن الانجليز يريدون حقيقة لهذه البلاد التقدم والارتقاء . وهذا مستر دنلوب يأمر كل مدير لمدرسة عالية بأن يطعن فى كفاءة المصريين الذين يطلبون وظائف التدريس ؟

وإذا تركنا دنلوب وارتقينا إلى رئيسه الأعلى معتمد انجلترا فى مصر فماذا نجد من نياته ؟ نجد أن السير الدون

غورست قد عين المستر هيل مديراً لمدرسة الحقوق وسخر بذلك من المصريين عامة ومن الأكفاء خاصة .

ألم يقل لهم بلسان الحال : « إنى لأسخر من معارفكم وآدابكم وكفاءتكم واستعدادكم وخبرتكم وشهاداتكم لأنكم مصريون . وأقدم عليكم من هو دون أصغركم علما وفضلا وخبرة لأنه انجليزى ؟ »

فهل بعد هذا يطالب المصريون بأن يحسنوا الظن بالانجليز ؟ وهل هناك عداء صريح من قوم لآخرين أكبر من هذا العداء ؟ وهل يليق بشرف دولة كبرى كالدولة الانجليزية أن تحارب المصريين بمثل هذه الصغائر وهي التي أقسمت أمام العالم كله أن جل رغائبها إعداد المصريين لأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ؟

ومتى يتسنى لهم ذلك والقاعدة السائدة فى السياسة الانجليزية بمصر هى تجريد المصريين من كل سلطة . وإبعادهم عن كل منصب ذى عمل . والاستعانة بالضعفاء والمارقين منهم على تمثيل مصر فى المناصب التى يشغلونها بأسوء صورة ؟

دنشواى

يقول سير إدوار غراى بأعلى صوته فى مجلس العموم الإنجليزى أن لورد كرومر لم يعامل المصريين كأمة منحطة . فماذا كان يريد أن يعمل اللورد ليعترف بأنه عاملهم كذلك ؟

أليست دنشواى وحدها بكافية لأن تثبت مدى الدهور والاجيال أن الإنجليز أهانوا المصريين إهانة قاسية لاتنسى أبداً ولا يمكن اختلاف اثنين من المنصفين فى الحكم فيهـــــا ؟

ينادى الساسة الإنجليز بأن الحكم فى دنشواى كان سياسيا وكان يقصد به تأديب الأمة ، وإذا طلبت الجماهير العفو عن المسجونين بسبب هذه الحادثة قالوا « إنما أنتم تطلبون العفو لتعدوه انتصارا على السياسة الإنجليزية »

فهل هذا هو العدل الذى تجود به علينا المدنية البريطانية؟ هل هـذا هو الإنصاف الذى تريد أن تعلمنا إياه الدولة

الإنجليزيه ؟ أيعاقب أهالى دنشواى بتلك الشدة المتناهية لأن الأمة لم تكن مع الإنجليز فى حادثة العقبة ؟ وهل الحكومة التى تخلط بين السياسة والعدل إلى هذا الحد فتعاقب البرىء وتكافىء المجرم تستحق أن يمدحها مادح ويثنى عليها إنسان ؟ وكيف يدهشها قيام المعارضين فى وجهها واعتراضهم عليها بكل شدة وقوة ؟

إننا لو كنا نريد دوام العداء والنفور واستحكام الشقاق والتنازع لطلبنا بقاء مسجونى دنشواى فى سجونهم الأعوام الطوال . لأنه كلما مرت السنون وهم على حالهم تجددت آلام الأمة بما لا يكيف وجرى ذكر دنشواى على كل لسان وهكذا سياسة العناد لا تثمر إلا عكس المقصود منها ولا تؤدى إلا إلى ضد الغاية المطلوبة

إن الرجال لا يحكمون بمثل هذه السياسة ولا تدبر شؤونهم بمثل هذا الاعتساف ! !

إذا كان الإنجليز يجهلون أحوال المصريين وما يدور بينهم . فليعلموا أن فى هذه الأمة رجالا مستنيرين رشيدين

يعادلون أكفأ العقلاء من الانجليز وأنهم يغارون على الحق والعدل ولا يرضون بأن تكون الأحكام فى البلاد قائمة على الغايات والاهواء . وهؤلاء الرجال هم القوة المفكرة التى تحترمها كل حكومة فى العالم غاية الاحترام وتسترشد بآرائها فى المواقف الحرجة .

إننا نقدم العدل والرحمة على السياسة ولذلك طلبنا ونطلب بأعلى أصواتنا العفو عن مسجونى دنشواي ونقول بكل صراحة أن السياسة الرشيدة هى التى تعمل لتخفيف الآلام الناشئة من هذه الحادثة الموجعة . لا العمل على تقويتها وزيادتها بدعوى أن طلاب العفو ليسوا من أنصار الاحتلال !

ألا فاقرأوا معاشر الانجليز التاريخ الاسلامى وانظروا فى أعمال أولئك الخلفاء العظماء الذين كان الواحد منهم ينشد الحقيقة فى كل وقت وفى كل مكان ويمتثل للحق ولو كان قائله من أحقر الناس .

نخليق بالانجليز وهم الذين يدعون أن مدنيتهم سادت كل مدنية أن يذكروا أن رجال المدنية الاسلامية لم يكونوا

ليقولوا «السياسة فوق الحق» بل كانوا يقولون ويؤيدون هذا القول بألف دليل ودليل : الحق فوق كل شيء .

الثروة والأزمة

أيها السادة . يفاخرنا الانجليز على الدوام بأنهم أغنوا البلاد وملأوها ذهبا حتى حدثت الأزمة الاخيرة وخفت هذا الصوت الذى صمت من سماعه الآذان أعواما طوالا .

فما قيمة الثروة التى يفاخرون بها بجانب الحرية الشخصية والحرية العمومية وسيادة المصرى فى بلاده واستقلاله فى وطنه ؟ ومن من المصريين لا يفضل أن يكون أفقر الناس جميعا وحكومة بلاده قائمة على العدل الصحيح على أن يكون أغناهم وأثراهم ويهدد من المحتلين بعقوبات دنشواى ؟

وإذا كان من المسلم به ان ارتفاع أثمان أراضى الزراعة تابع لثمن القطن . وأن هذا خاضع لطلبات العالم ولحاجة الناس للقطن المصرى بنوع خاص ولقلة المحصول الأمريكى وللمضاربة . فما أثر الانجليز فى هذه الثروة ؟

لاشك أنه جرت إصلاحات جمة فى الرى وإن الأعمال التى بدىء بها فى عهد الخديويين السابقين تقدمت فى العهد الحاضر . ولكن هذا الاصلاح فى الري ليس مزية خاصة للحكم البريطانى . ثم ألم يكن هذا من فائدة الانجليز أكثر مما هو فى فائدتنا ؟ ألم يكن من مصلحتهم إرضاء دائنى مصر وفتح السودان وإصلاحه بأموال مصر

ومن الذى ينكر اليوم أن الأزمة المالية الحاضرة ناشئة عن فوضى البورصة وعن كثرة الشركات التى دبرتها اليد التى قيدت الشركات المؤسسة بمقتضى القانون المصرى بعقود جمة لايجاد أسهم للتأسيس حتى تؤسس الشركات كلها بمقتضى القانون الانجليزى

من الذى ينكر أنه كان فى استطاعة الانجليز أن يطلبوا من الدول وضع قانون للبورصة ويقيدوا السماسرة والشركات بقيود متينة صيانة لمصالح البلاد .

وأى خلل فى المالية المصرية أكبر من الذى فضحه المستشار المالى السابق نفسه حين أعلن أن مصر خسرت

٧٠٠٠٠ جنيه فى كل مليون اشترت به أسهم الترنسفال أو القونصليد الانجليزى فهل كانت تجرى هذه الأمور كلها لو كان للامة مجلس نيابى يراقب أعمال الحكومة وكانت الحكومة مؤلفة من عناصر أهلية وليس للاجنبى عليها سيطرة ومن ذا الذى يتغنى بعد الآن بالاصلاح المالى البريطانى فى هذا القطر

إن الذى يفاخر بزيادة الثروة وبوصول مالية الحكومة المصرية إلى مركز سام يجب عليه قبل كل شىء أن يعدد الأعمال العامة والمنافع المختلفة التى عادت على القطر من هذه الزيادة

فهل يستطيع الانجليز أن يدعوا أنهم رقوا الفلاحين « أصحاب الجلاليب الزرقاء » ونشروا أنوار المعارف بينهم. وهم الذين سدوا أبواب المدارس فى وجوههم وقالوا لهم « حكمنا على أولادكم بأن يكونوا فقراء تعسين وأن لا يتسلحوا أبدا بسلاح العلم ! »

هل من مفاخر العهد البريطانى أن ينفق على المجانية ابتداء من هذا العام ١٦٠٠ جنيه ليس إلا وميزانية الحكومة بلغت

١٥ مليوناً من الجنيهات على حين أن التعليم كان مجاناً فى كافة مدارس مصر يوم لم تكن ميزانية الحكومة تزيد عن المليونين؟؟؟

هل يقدر الإنجليز أن يدعوا أنهم أصلحوا الحالة الصحية فى البلاد وغيروا من معيشة الأهالى وأن مدينة العاصمة صارت نظيفة فاخرة لا يجد المتنقل فيها محلا للانتقاد فى فصل من فصول السنة ؟ هل لهم أن يدعوا أنهم حموا الأطفال من الأمراض المختلفة التى تقتلهم مئات وألوفا ؟

فما فائدة الأموال التى تجمع والخزينة التى تملأ بالذهب الوهاج إذا كانت الأسوار قائمة بين الفقراء والعلم والأحوال الصحية على أسوأ حال . والعدل مزعزع الاركان والمصرى لا يملك فى بلاده نفوذا ولا يسمع له صوت والا من مختل أى اختلال !

الأمن العام

دعا الانجليز حب نزع السلطة من المصريين الى تدمير الادارة المصرية تدميراً حقيقيا باحلال سلطة المفتش محل سلطة المدير فصار الاشقياء لا يخافون الحكومة لان قوتها

الحقيقية تلاشت من أمامهم وصرنا نسمع بحوادث القتل والفتك فى كل بلد مما أذهل الناس جميعا وقد اضطرب المحتلون فى التشريع اضطرابا عجيبا فتراهم يغيرون القوانين ويقلبون المبادىء التشريعية بسرعة فائقة كأنهم يبدلون فى مواد لائحة من لوائح البوليس والمخالفات لا فى قوانين أساسية يُساس بها شعب كبير وهم اليوم يطلبون تقرير النفى الادارى الأمر الذى أسخط الأمة كلها وأظهر فشلهم الفاضح

وهذا خلل كبير فى إدارة شؤون مصر . فان كل بلاد حرمت قوة تشريعية حقيقية تكون خاضعة لسياسة الأهواء

الحكومة الأهلية

لذلك قلنا أن المصريين لا يرضون بإصلاحات سطحية يُعْطَونها ذرا للرماد فى العيون . بل انهم لا يطمئنون على أنفسهم وبلادهم إلا إذا عادت الحكومة الأهلية بسلطتها وسطوتها ورهبتها وكانت حكومة دستورية خاضعة لمبادىء التمدين الحديث ومستمدة قوتها من الشعب وعاملة برغائبه ممتثلة لأوامره

وإذا كان بعض الانجليز يرون أن ما عمل فى مصر فى الخمسة والعشرين عاما الأخيرة كافيا لتشريف انجلترا ولائقا بمدنيتها وبما ينتظر منها . فاننا نعتقد أن انجلترا قادرة على أن تعمل أحسن مما عملت وتحترم شرفها وعهودها وتاريخها وتقاليدها بخطة أخري غير الخطة التى اتبعتها .

ان الانجليز الذين يتألمون لمطالبتنا باحترام تعهدات الملكة فيكتوريا وتصريحات كبار وزرائها ينسون ان مخالفة هذه التعهدات وتلك التصريحات أشد إيلاما لهم فى الحقيقة من كل انتقاد يوجه اليهم وأن الذى يدعوهم لاتباع سياسة العدل والمدنية انما يدعوهم لما هو أليق بهم وبشرف دولتهم وعظمتها .

كيف لا ومطاعن الطاعنين وشتائم الشاتمين لاتؤثر فى شرف انجلترا وسمعتها غير معشار ما يؤثر قول العالم المتمدين عنها أنها تعادى الوطنيين المصريين وتحاربهم لأنهم يطلبون اتباع مبادىء المدنية وتعميم التعليم واقامة الدستور مقام الظلم والاعتساف — وينادون بانهم لايرضون بحكومة الرجل الفرد

سواء كان مصريا أو أجنبيا وان مداركهم ارتقت الى حد أنهم يعتبرون أنفسهم من « عائلة الشعوب المتمدينة » ويطلبون أن يعاملوا كذلك .

لذلك كان من المؤكد عندنا نجاحنا عاجلا أو آجلا لان الزمان يكفل النجاح لصاحب الحق على الدوام !

اعداء الحزب الوطنى والنزلاء

هذه خطتنا أيها السادة وهذه مطالبنا التى نرمي الى تحقيقها . فهل يقول منصف عادل بأنها غير موافقة لمصالح مصر والمصريين

كلا . ولكن عصابة من الكتاب الأوروبيين فى هذه الديار حملت علينا حملة شعواء ووجهت الينا من السباب مالا يتصور صدوره من رجال متمدينين . ورمتنا هذه العصابة بتهم شنيعة لو كان لها نصيب من الحقيقة لكنا من المجرمين

ولقد يتوهم البعض منا أن هؤلاء الكتاب يعبرون عن أفكار النزلاء الاوربيين فى هذه الديار ونزعاتهم . ولكن هذا الوهم باطل . لأن أولئك النزلاء يحبون مصر على

ما أعتقد ويعترفون لها بالجميل ويرجون لها الخير ولاينسون أنها البلاد التى لاقوا فيها الإكرام التام والحفاوة الزائدة ووجدوا تحت سمائها ما يطلبون من كسب عميم وخير وفير.

ان النزلاء الأوربيين يقدرون الوطنية حق قدرها لأنهم يحبون بلادهم حبا جما ويظهرون هذا الحب فى كل آن فمن منا يصدق أن أولئك الذين يعيشون وخارهم استقلال أوطانهم ويعتقد الواحد منهم انه راية بلاده يمثلها أنى كان وأن الاعتداء عليه اعتداء عليها يجاهدون ضد أمة تنهض مطالبة بالاستقلال وتعمل لزوال الاحتلال ؟

إنى أعتقد اعتقادا جازما أن لنا فى النزلاء الأوربيين أصدقاء عديدين وان عدد أولئك الأصدقاء يزداد كلما أثبتنا لهم بالدليل والبرهان اننا نريد أن تكون مصر عضوا عاملا فى جسم الأمم المتمدينة وإننا نطلب الاستقلال لتكون بلادنا مصدر النور والعرفان للشرق كله . واننا لا نريد مطاردة أحد من الناس بل نعد من شرف مصر وامتيازها على غيرها من البلاد أنها ترحب بكل قادم عليها وتوسع له فى ديارها غير

AUC - LIBRARY

خائفة على أبنائها من مزاحمة أو منافسة بل مسرورة بكثرة العاملين وهم الساعين المجدين .

وانه ليأتى يوم يجد الأجنبي فيه أن الجنسية المصرية ليست دون غيرها من الجنسيات الراقية فيقبلها فرحا مبتهجا وتزداد بذلك قوة الوطن المصرى ولا يوجد من بعد الانتساب لمصر عاراً وشناراً .

تهمة الثورة

بماذا طعن الطاعنون فينا !

قالوا إننا نريد إحداث ثورة دينية فى البلاد وأنه أوعز الينا من الاستانة بها !

وهو قول الجاهل أو المتجاهل المتعنت الذى يريد أن يحارب خصومه بكل سلاح . إذ كيف يقبل العقل السليم أو يتصور إنسان ذو لب وإدراك أن قادة الأفكار فى مصر يعملون لهدم البقية الباقية من استقلال هذه البلاد ويحزبون أوربا بأسرها على مصر والمصريين ، ألم نقل مراراً وتكراراً أن كل فتنة تحدث فى مصر لا تفيد إلا المحتلين؟ ألم نكن أول الداعين

للسكينة المطالبين أبناء وطننا بأن يعملوا بعزم وهمة وصراحة ولكن مع السكينة والمحافظة على الامن العام ! ألم نجعل أساس سياستنا وقاعدة خطتنا وروح أعمالنا استخدام الوسائل السلمية لنيل حقوقنا والتمسك بالطرق القانونية دون غيرها ؟

ومن الذى يستطيع أن يقول إن الآستانة منفعة فى إحداث ثورة فى مصر وما الذى يدفعها إلى ذلك ؟ أعدوانها للمسيحيين وأسمى وظائف الدولة فى قبضتهم ؟ وماذا يكون مركز الدولة العلية لو ثارت مصر وضربتها أوربا الضربة القاضية ؟ ألا تكون هى المسؤولة بالذات عن ذلك إذا صح أنها تحرض على ثورة فيها ؟ أوليس التحريض داعيا إلى المؤازرة ؟ فأى مؤازرة ترضى تركيا أن تقوم لنا بها على أوربا كلها ؟

إن القائلين بذلك أعداء متعنتون أو جهلاء لا يدركون معنى مايقولون . لان المصرى الذى يدعو لفتنة أو يعمل لها يكون عدو البلاده . وإذا وجد فى العالم دولة تنصح المصريين باستعمال السكينة وملازمة الحكمة والتبصر فهى الدولة العلية لانها بلا نزاع أشد الدول غيرة على سلامة مصر وأكثرهن

فائدة من عدم ازدياد مصائبها و بلاياها

تهمة خيانة مصر

رمانا الطاعنون أيضا بأننا نريد أن نخرج الانجليز من مصر لنعطيها التركيا كولاية عادية أى أننا نريد تغيير الحاكمين لا طلب الاستقلال والحكم الذاتى .

وما هذه التهمة إلا تصريح بأن علوم الغرب وآدابه التى نقلت إلى مصر من مدة قرن من الزمان مازادتنا إلا تمسكا بالعبودية والمذلة . وأن معرفتنا الحقوق الأمم وواجباتها لم ترشحنا إلا أن نكون عبيداً أرقاء .

فهذه التهمة هى مسبة للمدنية والمتمدينين وقضاء على الأمة المصرية بأنها لا ترقى أبداً ولا تبلغ مبلغ غيرها من الشعوب . لأنه إذا كان المتعلمون من أبنائها يطلبون إحلال نير محل نير واستبدال استعباد باستعباد فكيف يطمع طامع فى تقدمها وارتقائها ووجود ضمير أهلى لها ؟

إن القائلين بذلك يدعون الناس لأن يسخروا من عقولهم ومداركهم لأن الصومالى والحبشى وكافة الأمم التى هى دون الأمة المصرية بمراحل فى العلم والأدب والشعور

دافعت عن استقلالها أجمل دفاع وبرهنت للعالم طرا إن حب الوطن فطرة فطر الله الناس عليها وإن الإنسان لا يحتاج إلى علم ولا إلى أدب ليشعر بهذا الشعور .

فليعلم أعداء مصر أننا نطالب لها الاستقلال ونطالب لها ذلك الاستقلال بأعلى أصواتنا وعلى مسمع من أمم الأرض كلها . وإننا إذا أخلصنا الود لأمة أو لدولة فانما نعمل كغيرنا ونتبع ناموس الطبيعة القاضى بأن من اتفقت مصالحهم يجتمعون ويتناصرون .

وإذا كانت انجلترا تسعى الآن للتقرب من الدولة العلية وتغير سياستها نحوها تغييرا محسوسا فمن الذي يلوم المصريين على أن يكونوا أقرب الناس من تركيا قولا وفعلا وأن يحافظوا على هذه الصلة ما استطاعوا .

تهمة التضييق فى الوطنية

قال أعداؤنا فيما قالوا : إننا ضيقو الفكر صغار الآمال وإننا نأبى على الدين ولدوانى مصر واستوطنوها أن يكونوا مصريين . وهذا قول لا يقوم عليه برهان .

إننا إذا قاومنا بكل قوانا تلك الفئة الضالة المضلة التى

قابلت إحسان مصر بالنكران وأعلنت على البلاد وأهلها حربا عوانا فاننا نميز بينها وبين بقية الشرقيين من ترك وعرب وسوريين الذين اختاروا مصر وطنا لهم وأحبوها وشاركونا فى الآلام والآمال وصاروا مصريين فعلا .

إننا نستقبل بتزيد السرور والانشراح كل راغب فى الدخول فى جنسيتنا معترف بحقوقنا . مقدر لشرف جهادنا عامل على بلوغ الاستقلال لأننا نريد زيادة قوى الوطن والاستزادة من الايدى العاملة لخيره ولنفعه ومجده وعظمته

وإن الامم التى تخاف دخول الغريب فيها وانتماءه إليها هى الامم الضعيفة فى وطنيتها المضطرب فؤادها على جامعتها ونحن اليوم بحمد الله أمة قوية الشعور راقية الاحساس لا تخاف على وطنيتها . فليدخل فى الجنسية المصرية من أراد فإنه إن لم يزدها قوة زادته هى حمية وإقداما وملأت قلبه بحب الحرية والاستقلال .

تهمة التعصب الدينى

قال أعداؤنا أيضا : إننا نخلط الاسلام بالوطنية ونتكلم دائما عن المسلمين ونطلب إدخال الدين فى التعليم وفسروا

ذلك بأنه تعصب ذميم.

فكيف لاتكون انجلترا والمانيا متعصبتين وهما الدولتان المتمسكتان بالتعليم الديني في مدارسهما وتتهم نحن بالتعصب الديني ؟ لماذا يكون الانجليزي وطنيا وبروتستانتينيا في آن واحد ولايكون المصري المسلم وطنيا ومسلما ؟ ألا تكون الوطنية صحيحة سليمة إلا إذا قضت على الدين ومحته !

إلا أن الحقيقة الساطعة التي لاريب فيها هي أن الوطنية والدين يتفقان بل وقد يكونان متلازمين .

نحن إذا طلبنا إرشاد أمتنا إلى الحقيقة الدينية فما ذلك إلا لأن الاضاليل والاكاذيب والخزعبلات التي راجت بين العامة باسم الدين قلبت حقيقة هذا الدين . فصار الجهل والتأخر والانحطاط وكل الآفات مما يلقى على الدين وينسب اليه والدين منه براء .

لذلك كان من المستحيل إحياء الأمة وانهاضها بغير الحقيقة الدينية . لأنه لا سبيل لإبادة جيش الباطل الذي الف ونظم باسم الدين الا بالدين نفسه

فالتعليم الديني ليس فرضا من الوجهة الدينية فحسب

بل هو كذلك ايضا من الوجهة الوطنية. لأنه لو وقف المرشد امام الاهالى و نبههم إلى واجباتهم باسم الوطن و العلم و المصلحة و اجابة الضالون منهم بما عندهم من الاعتقادات الباطلة بأن الدين ينافى ما يقول لما قهرهم و استمالهم إلى فكره الا اذا أثبت لهم أن الدين ليس ما اعتقدوا بل ان الدين مخالف لتلك الخزعبلات التى آمنوا بها وأنه متفق مع العلم و الوطن تمام الاتفاق .

على أن بث الحقيقة الاسلامية بين المسلمين من أكبر الاسباب الموجدة للتسامح و التقرب من الشعوب الاخرى إذ لا تعصب مع علم ولا نفرة مع نور ورشاد ! فمن منفعة العناصر كلها ان يعرف المسلمون دينهم على حقيقته وان تزول أوباء الجهالات والخرافات من بينهم .

تهمة تحريض المسلمين على الدول

لم يكتف الطاعنون فينا بنسبة التهم المتقدمة الينا بل قالوا أن الحزب الوطنى آلة فى يد المانيا تحركها ضد فرنسا وانكلترا لاحداث فتنة فى البلاد الاسلامية التابعة لهما وما قصدوا بهذه التهمة إلا جمع كلمة الدولتين ضدنا و تنفير أصدقائنا العديدين فى أوروبا منا .

إننا نعلن للملأ كله أن الحزب الوطنى مستقل عن كل الدول والحكومات والملوك والأمراء وانه إنما يطلب سعادة مصر واستقلالها من كل طريق يجده مساعدا على الوصول إلى هذه الغاية . وليس هناك برهان على أفك أعدائنا أكبر وأقطع من أننا انتقدنا السياسة الألمانية مرارا وقلنا لها أن المسلمين لا يصدقون بمحبتها إلا إذا غيرت خطتها فى مصر وطلبت حل المسألة المصرية فى مؤتمر دولى كما فعلت بشأن مراكش . وشتان ما بين مصر ومراكش فى الاهمية ووفرة المصالح الأوربية

إن المسلمين يخدعون أنفسهم كثيراً ويسيئون إلى بلادهم حقيقة إذا اعتقدوا ان سلامتهم فى الاعتماد على دولة من الدول وأن لهم أن يناموا على وسادة الامان والاطمئنان إذا جاملتهم هذه الدولة بكلمة حب وانعطاف لغاية يجهلونها .

إنما سلامتهم فى أن يعملوا بأنفسهم لصيانة بلادهم وحمايتها بالعلم والعدل والنظام والدستور فإن البلاء كل البلاء فى أن يكون الإسلام سلاحا بيد الجاهل الغبى يقتل باسمه البرىء من المسلمين وغير المسلمين ويخرب البلاد ويؤذى

العباد قائلا « ان هذا من عمل الاسلام »

ان الاسلام برىء من هذه الفظائع . ان الاسلام يقضي بكل قوة على هذه القبائح .

الاسلام والجهل عدوان لا يتفقان . فلا إسلام بغير علم وفضل وعدل ومدنية وإنسانية .

فلترفع الامم الإسلامية التى لاتزال قادرة على حماية بلادها وصيانة استقلالها رايته . ولتعمل عمل اليابان فتعتمد على الجد وحده وتحارب الحياة والسؤدد من جهودها ومساعيها لا من تأييد دولة ورعاية حكومة أجنبية .

فان السياسة التى تدفع بهذه الحكومة لمساعدة أمة إسلامية فى ساعة من ساعات حياتها قد تتغير بتغير الظروف والأحوال فلا تساعدها فى ساعة أخرى .

وانه خير لمرشدى المسلمين والناصحين لهم أن يحملوا على أسباب الفشل والسقوط التى نشأت بينهم ، ويحاربوا الجهلاء والأغبياء منهم قبل توجيه الملام إلى الهاجمين عليهم فانما الجهل هو الذى دعا الاجنبى لأن يطمع فيهم ولو نظم المسلمون بلادهم وأثبتوا للعالم ان الاسلام دين مدنية وعمران

وقوة ورفعة لما اعتدى عليهم أحد ولخطب ودهم كل انسان!

الاتحاد والعمل

أيها السادة . دعا لورد كرومر قبل سفره كافة العناصر الاجنبية للاتحاد على المصريين تنفيذا لسياسة التفريق التى عمل لها طول حياته . فاسمحوا لى أن أدعوكم للاتفاق والاتحاد وإزالة كل سبب للنفور والشقاق بينكم وبين النزلاء فان الاتحاد هو القوة الكبرى . ولولاه ماقام شعب فى العالم وما وجد التضامن بين أفراد الهيئة الاجتماعية .

انه ليحزنكم كثيراً أن تجدوا المنافقين والخائنين من أبناء البلاد . وهو حال يحزن ولكنه ليس خاصا بمصر . بل هو عام فى الدنيا كلها . وإذا أحزن الوطنيين الصادقين من وجهة فانه يسرهم من وجهة أخرى لأنه يبعد العناصر الفاسدة من الحركة الوطنية ويجعلها طاهرة خالصة من كل شائبة .

فضموا صفوفكم واجمعوا أمركم واعملوا بجد وهمة واثبتوا للاعداء والأصدقاء أننا أحق الأمم بالدستور والاستقلال إن الوطنية الحقة تقضى على صاحبها بأن يضحي حياته خدمة لوطنه لو دعت الحاجة لذلك . فلنضح جميعا أحقادنا الذاتية

وخصوماتنا الشخصية . ولننس عداواتنا واختلافاتنا أمام المصلحة الوطنية وأمام الوطن المقدس .

لننس أشخاصنا ولنترك الطمع فى الزعامات والرئاسات ونتبع أحقرنا إذا كان على الحق .

فاننا اذا نصرناه نصرنا الوطن والامة واذا خذلناه خذلناهما معاً

أيها السادة . ان العالم كله ينظر الى مصر وماسيكون من أمر حركتها الوطنية . وأن أعداءنا يدبرون ألف تدبير وتدبير لهدم دعائم هذه الحركة ومحو آثارها .

فاذكروا ذلك على الدوام ليزداد الاتفاق بيننا وليوجد الاخاء بأسمى معانيه بين صفوفنا .

وانى لأدعو كل واحد منكم للدخول فى الحزب الوطنى حتى تتسع دائرة العمل لخدمة مصر ويزداد الطالبون للاستقلال الممثلون للامة فى همتها ونخوتها واجتماع كلمتها العاملون على انالتها شرف الاحياء ومجد الراقين .

مبادىء الحزب الوطنى

أولا الاستقلال التام لمصر مع سودانها وملحقاتها استقلالا غير مشوب بأي احتلال أو حماية أو شبه سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال

ثانياً إيجاد حكومة دستورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسؤولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوربا

ثالثاً إحترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون

رابعا انتقاد الاعمال الضارة بكل صراحة والاعتراف بالاعمال النافعة والتشجيع عليها وإرشاد الحكومة إلى خير الامة ورغائبها والاصلاحات اللازمة لها

خامسا العمل لنشر التعليم في أنحاء الديار على أساس وطنى صحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر منه . ومحاربة الخزعبلات والترهات ونشر المبادىء الدينية السليمة الداعية للرقى وحث الأغنياء والقادرين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسيس الكليات فى البلاد وإرسال الارساليات

لأوروبا وفتح المدارس الليلية للصناع والعمال

سادساً: ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وكل فروع الحياة والعمل والجد وراء نيل الأمة استقلالها العلمى والاقتصادى

سابعاً: إرشاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة الى حقائق الاحوال وبث الشعور الوطنى فيهم ودعوتهم للاتحاد والائتلاف وتمكين المحبة بين عنصرى الامة المسلمين والاقباط وتنبيههم إلى واجباتهم نحو بلادهم

ثامناً: مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجاح والاجتهاد فى تحسين الاحوال الصحية حتى يزداد عدد السكان فتزداد الامة قوة على قوتها

تاسعاً تقوية روابط المحبة والصفاء بين الوطنيين والاجانب وازالة سوء التفاهم بينهم إذا وجد

عاشراً: انماء علائق المحبة بالثقة بين مصر ودول أوروبا. ونفى كل تهمة عن مصر والعمل لإيجاد أنصار لها فى كل انحاء العالم حتى تكون لها قوة أدبية سامية تساعدها على اعتراف الغير بحقوقها الشرعية والتغلب على المساعى التى تعمل ضدها ويراد بها اخفاء الحقيقة

مصطفى باشا كامل

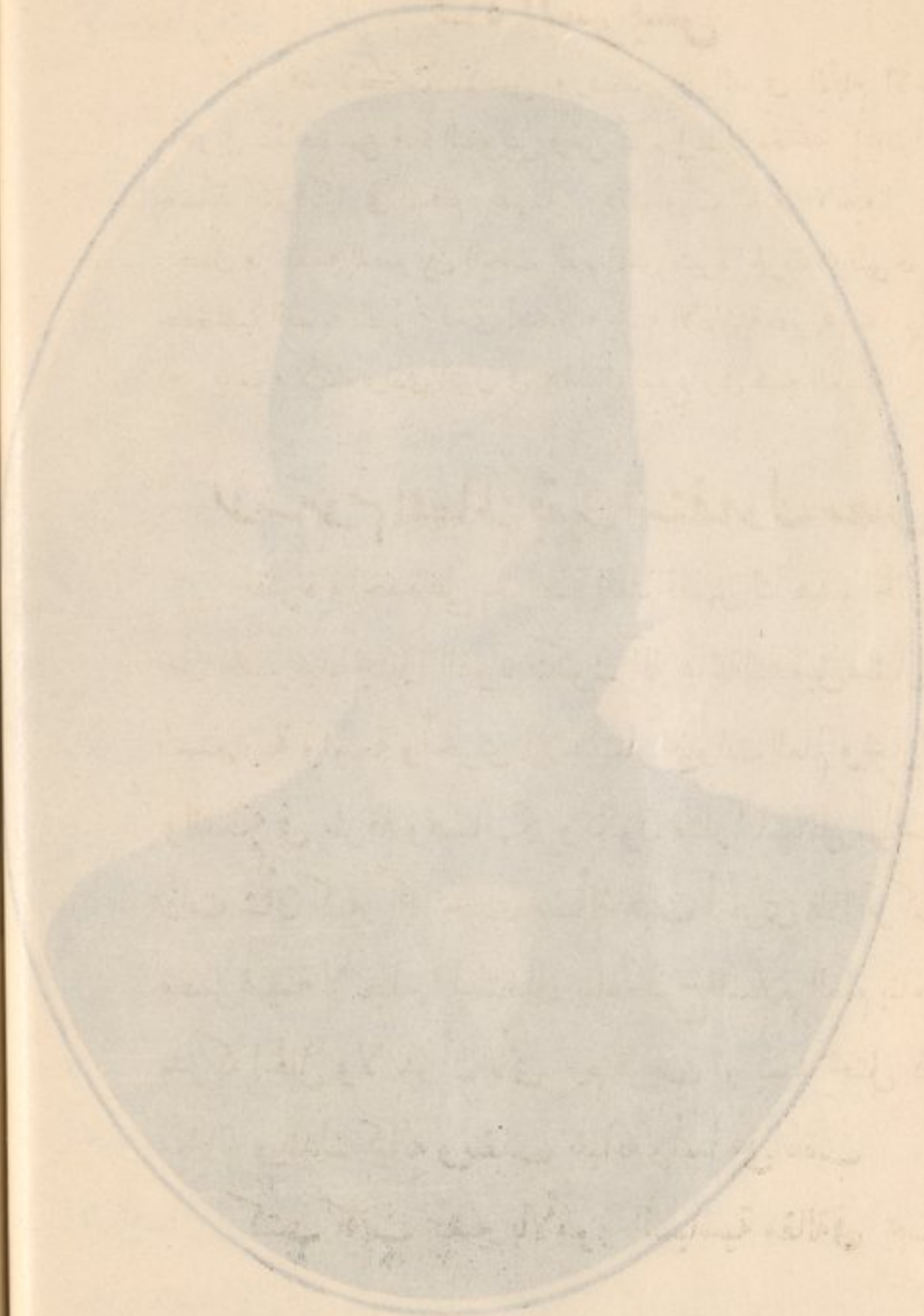

قناة السويس

أما وقد لاكت الألسن ورددت الجرائد فى الأيام الأخيرة أقاويل عديدة عن قناة السويس وعن عزم إيطاليا مفاتحة إنجلترا فى مسألة اشتراكها فى الدفاع عنها . فقد رأت لجنة الاحتفال أن أفضل ما تقدمه للمصريين البحث القيم الذى نشره الحزب الوطنى ضمن كتاب القضية المصرية الذى أصدرته لجنته الادارية عام ١٩١٩ وهو خير مايقوم لأبناء وادى النيل فى هذا الموضوع وفى هذه المناسبة

لا سلام للعالم بغير استقلال مصر

نظرة واحدة على خريطة العالم تظهر لنا هذه الحقيقة فان مصر بيد انجلترا القوية تكون آلة هائلة لتحقيق مشاريع استعمارية واسعة وأخرى للاستئثار بخيرات العالم وتجاراته وللتحكم فى طرقه ومسالكه وتكون مثاراً لمسائل سياسية ذات شأن كبير كلما خبت مسألة هبت أخرى فاذا تركت مصر غنيمة لانجلترا استحال بناء صرح السلام العام بناء لا يدركه الخلل ولا بد أن يأتى يوم قريب أو بعيد يختل فيه ميزانه ويندك كيانه وينقلب بنيانه رأسا على عقب

كتب كاتب بصير بالأمور السياسية مقالة فى مجلة

(لاريفوا) الفرنسية بتاريخ أول فبراير سنة ١٩٠٥ بين فيها مشاريع بريطانيا العظمى فى آسيا قال فيها :

« أما البرنامج العمومى فيتخلص فيما يأتى : ضمان نقطة الارتكاز قبل كل شىء بامتلاك مصر امتلاكا تاما — ثم ربط مصر بالبحر الأحمر والمحيط الهندى بسكك حديدية حتى تقل أهمية طرق الهند الآخر من القسطنطينية إلى خليج العجم . ثم طى السلطة التركية من بلاد العرب وبسط سيادة الخديوى الاسمية على الأماكن الاسلامية المقدسة وهكذا تكسب الامبراطورية البريطانية التى تحكم الآن أغلبية المسلمين عالماً اسلامياً تسخره لخدمة الهند التى يعيش فيها هى أيضاً عدد عظيم من المسلمين »

« وبهذه الطريقة يمتد السلطان الانجليزى على الشاطىء الشرقى للبحر الأحمر ويجعل الفائدة الأدبية التى تتوخاها ألمانيا وتركيا من إنشاء السكة الحديدية الحجازية التى بدىء فى بنائها فعلا بين دمشق ومكة سنة ١٩٠٥ وهمية لا قيمة لها وبعدئذ تحتل إنجلترا رويداً رويداً الشواطىء العربية الاخرى

وتعمل على استمالة سكان جزيرة العرب إليها وأخيراً تنشىء سكة حديدية بين مصر والكويت تصل النيل بالفرات وخليج السويس بخليج العجم . »

« ثم تقرر مركزها تماما فى الكويت لتحكم بلاد بين النهرين وتتسلط على الطريق الالمانى — ثم تنظم فى جنوب العجم مشروعاً للتداخل السلمى يشل أعمال روسيا فيها »

« وفى النهاية تتوج عملها بانشاء طريق يمر بالكويت ويخترق بلاد العجم مارا بشيراز وكرمان ونسيراباد وقنداهار ويكون له فرع من كرمان الى تشاه بار هذا الثغر البديع القائم على خليج العجم ومن هناك يخترق بلوشستان ومنها إلى كراتشى على مصب الهندوس » هذا هو برنامج إنجلترا فى آسيا ثم تناول الكاتب هذا البرنامج نقطة فنقطة وتكلم عليها »

ونحن لانريد أن نعلق بشىء على صحة نظر هذا الكاتب بعد أن أيدت الحوادث صدقه كما نرى

وكتب المسيو كوشرى فى كتابه (المركز الدولى لمصر والسودان) ص ٣٧٠ و ٣٧١ على مرامى انجلترا فى افريقيا فقال :

«إلى أى غرض ترمى انجلترا من احتلالها أوغانداو أونيورو ومديرية خط الاستواء بالتفضيل على غيرها ، عبثا نحاول أن نجد الجواب فى المؤلفات الانجليزية كما قال المسيو بنسا لأن المؤلفين الانجليز مثل ملنر وسيلى وسكوت كلتى وونجت وشارل ديلك كلهم كثير الحيطة ملتزم الصمت المطلق فى هذا الباب كما أن من العبث البحث فى الوثائق الرسمية لذلك ينبغى الرجوع إلى الحوادث نفسها لمعرفة مرامى إنجلترا»

« إن لدى إنجلترا مشروعا هائلا يقتضى إقامة أمبراطورية أفريقية واسعة الأطراف تمتد من مدينة الكاب إلى مصر ويرجع الفضل فى ابتكار هذا المشروع إلى رجل بعيد الغور هو سيسل رودس»

«ومن أجل هذا المشروع ألجأت انجلترا خديوى مصر الى اخلاء السودان كما أنها من أجله طردت أمين باشا من مديرية خط الاستواء واحتلت أوجاندا وأونيورو»

«وسيقتضى تحقيقه أن تغير انجلترا على بلاد الحبشة فى الوقت المناسب إذا استمر حسن الطالع ملازما لها .

« ولقد نشرت التيمس هذا البرنامج الذى كان له ضجة هائلة وذلك فى أواخر مايو سنة ١٨٨٩ و نقلته عنها الصحافة الانجليزية . (وأنه لا يقتضى أكثر من تملك انجلترا للاقطار الشاسعة الأطراف الممتدة من شواطىء بحيرة تنجنيكا الجنوبية وشواطىء بحيرة نياسا الغربية والحدود الجنوبية لولاية الكونجو المستقلة وأملاك البرتغال إلى البتشوالاند بعد نهر الزمبيز . وقد تأسست ثلاث شركات لتحقيق هذا الغرض شركة البحيرات الافريقية وشركة اللورد چيفورد وشركة سيسل رودس) . . . »

وعلقت جريدة الطان الفرنسية على هذا المشروع بمقالة نشرتها بتاريخ أول يونيه سنة ١٨٨٩ قالت فيها :

« يتكلم الانجليز بلا مبالاة فى مشروع يقتضى بسط سيادة انجلترا على افريقيا من منابع النيل فالزمبيز إلى مدينة الكاب . فحقا أنهم يتكلمون عن مشروع هائل يحتاج فى تنفيذه إلى شركة مثل شركة بلاد الهند الشرقية [1] على

---

(١) ابتدأت انجلترا تنفيذ فكرة تملك الهند بتأسيس هذه الشركة

نظام أوسع . وإن هذا البرنامج الجميل لا يكترث كما نرى لا بحقوق البرتغال ولا حقوق الشركة الألمانية بل ولا بالحقوق العامة للدول الأوربية . تلك الحقوق التى لا يتفق وجودها مع تنفيذ مشروع كهذا من شأنه الاخلال بالتوازن فى القارة السوداء كل ذلك تحقيقاً لفائدة دولة واحدة امتازت كثيراً من قبل .

وإن هذا الحلم الأشعبي ليبشر بخطر عظيم يتهدد أوروبا ويتهدد انجلترا نفسها »

هذا ما يقوله كتاب أوروبا وساستها عن مطامع انجلترا فى آسيا وأفريقيا . وأنهم لبصيرون بالمستقبل وبالغايات الاستعمارية لأن الحوادث تؤيد صدق نظرهم . ومن يدرينا أن مطامع انجلترا تقف عند هذا الحد أن الطعام يقوى شهوة النهم ألا يمكن أن تنوق بعد تحقيق مشروع أمبراطوريتها الافريقية من مدينة الرأس إلى الاسكندرية إلى ابتلاع الصحراء وهضم بقية أفريقيا فتحكم قارة أخرى

لقد دلنا التاريخ على أن الاسكندر حاول غزو طرابلس

وأفريقيا الشمالية وعلى أن الرومان وجدوا من الطبيعى مد أمبراطوريتهم حتى شملت أفريقيا الشمالية كلها وأن العرب بعد دخول مصر فتحوا طرابلس والجزائر ومراكش وتعدوا أفريقيا إلى أوروبا . فهل هناك مايضمن للعالم أن انجلترا متى تمكنت فى مصر ونفذت مشروع أمبراطوريتها لاتتقدم إلى تناول هذه اللقم السائغة السهلة الهضم على المعدة الانجليزية إلا إن التاريخ يعيد نفسه وأن الليالى من الزمان حبالى مثقلات تلدن كل عجيبة .

لقد وضع كاتب روسي عاش فى فرنسا إسمه نيقولا نوتوفيتش كتاباً فى سنة ١٨٩٨ سماه (أوروبا ومصر) بين فيه مزايا مركز مصر وتأثير امتلاكها فى سياسة الدول الاستعمارية قديماً وحديثاً . ونحن بدون أن ننقل ماأفاض فيه هذا المؤلف بتوسع نكتفى بإيراد ماقاله ص ١٥ ، ١٦ من مقدمته :

« لايمكن لمستعمرة أفريقية أن تنمو فى أمان ولا لأى أمة تحت الحماية حتى تونس والجزائر أن تأمن على مستقبلها

متى تحولت مصر إلى قلعة خطيرة فى يد انجلترا . هنالك تستطيع هذه الدولة الجريئة أن توقف سير التجارة مع هذه المستعمرات وتهدد وجودها تهديداً متواليا»

« لقد استطاعت قرطاجنة أن تنمو بجانب مصر القديمة بفضل الصحراء التى كانت تقف سداً منيعا بين البلادين.. أما الآن فان يوما واحداً يكفى ليقوم أسطول حربى من الاسكندرية فيضرب تونس وأن يومين يكفيانه ليقوم بضرب مدينة الجزائر »

« ولقد كانت شلالات النيل قديما عقبة تجعل اجتياز النيل صعبا .... أما الآن فقد تزلزلت هذه العقبة وفتح قنال السويس وصار من الميسور حمل جيش جرار إلى منطقة البحيرات الكبرى فى عدة أسابيع ومن هناك يوزع هذا الجيش على مستعمرات البلجيك والألمان والفرنسيين والبرتغاليين والهولانديين »

ولا يخفى أن الخط الحديدى من مصر إلى مدينة الرأس والثغور السودانية تسهل أيضا نقل مثل هذا الجيش الى هذه

المناطق .

لاشك أن ساسة الأمم ورجال حكوماتها هم أعرف الناس بمطامع انجلترا . هذه المطامع التى لاسبيل الى إماتتها وقبرها إلا بجلاء انجلترا عن مصر وباعطائنا الاستقلال. هذه المطامع التى لاتنام عنها انجلترا ولا تحجم عن السعى فى تحقيقها إذا بقيت فى مصر واستتب لها الأمر .هذه المطامع التى لو تركتها الدول حية . فبشر الانسانية بحرب طاحنة تصغر فى جانبها الحرب الحاضرة .كما ظهرت الحروب السابقة صغيرة بجانب هذه الحرب الضروس . بشر الانسانية عندئذ بأيام أشد سواداً من قطع الليل الدامس . وأشد عذابا من عذاب الجحيم . لايستطيع الفكر أن يتصور الآن ما تكون أهوالها كما كان لايتصور ما رأى وسمع من عجائب الحرب الحالية وكوارثها .

على أن ضرر امتلاك انجلترا لمصر لايقف عند هذا الحد فان إنشاء قناة السويس زاد فى أهمية مركزها .وألفت العالم الى العناية بها أكثر من قبل .

كانت الدول قبل فتح القناة تهتم بمصر لذاتها . فلما فتحت واكتشفت القارة السوداء صار الاهتمام لذات مصر وللقارة السوداء ولقناة السويس

قال فورنييه دى فليكس فى كتابه (استقلال مصر والنظام الدولى لقناة السويس) المطبوع سنة ١٨٨٣ ما يأتى ص ٥٨

« فالطريق بين أوروبا والهند وبين أوروبا واستراليا وبين أوروبا والصين وبين أوروبا واليابان وبين أوروبا وجزء من الأوقانسية وبين أوروبا وأفريقيا الشرقية وبين أوروبا وأفريقيا الوسطى وبين هولاندا ومستعمراتها وبين اسبانيا ومستعمراتها وبين فرنسا ومستعمراتها — هذا الطريق هو فى يد انجلترا تفتحه متى شاءت وتغلقه متى شاءت وتتحكم فى ثلثى الكرة الأرضية . بيدها الحرب وبيدها السلام الا إن أمة من الأمم لم تنل مثل هذا الفتح وما نتيجة ذلك الا التسلط على تجارة العالم »

وقال المسيو فريسينيه وزير فرنسا سابقاً فى كتابه

(المسألة المصرية) ص ٤٣٨

« فلو حصل خلاف بين دول أوروبا لا تستطيع هذه الدول استدعاء أساطيلها من آسيا الا إذا شاءت انجلترا وكذلك لو احتاجت إحدى الدول إلى حماية مصالحها في المحيط الهندى أو بحار الصين فلا يتسنى لها ذلك الا اذا أذنت لها انجلترا. حقاً لقد أدرك ذلك البرنس بسمارك بل ورأى أبعد من هذا رأى أن تسلط انجلترا على مصر تسلطاً يعززه ويصونها أكبر أسطول فى العالم يمكن انجلترا من السيطرة على آسيا الصغرى وسوريا وبلاد ما بين النهرين والتحكم فى الامبراطورية العثمانية وجميع الطرق البرية بين القسطنطينية وخليج العجم وهكذا تصبح سكة حديد بغداد وقناة السويس قيد ارادة واحدة هى إرادة انجلترا »

أضف إلى ذلك وجود بوغاز جبل طارق وجزيرتى مالطا وقبرص وبوغاز باب المندب وبلاد عدن وجود هذه كلها فى يد انجلترا

فأنت ترى أن مصر ليست من البلاد التى تكفى جرة

قلم لامتلاكها وإن وراء المسئلة المصرية مسائل كلها ذات شأن خطير . وراءها مسئلة اسيوية . ومسئلة أفريقية . ومسئلة البحر الأبيض المتوسط . ومسئلة التجارة الدولية بل ووراءها أيضا مسئلة إسلامية كما أشار إلى ذلك وزير خارجية فرنسا فى منشوره الذى أرسله إلى الدول سنة ١٨٨٧ وضمنه ملاحظاته على معاهدة درومندولف لما لمصر من المكانة السامية والمركز الأدبى السامى فى نفوس المسلمين[١] ولتعرض مكة والمدينة إلى خطر تسلط الانجليز عليها - ووراءها فوق ذلك كله مسئلة بيت المقدس وتسلط دولة بروتستانية عليه

تطوى مسئلة مصر فى بطنها جميع هذه المسائل وكل مسئلة منها تكفى لتعريض السلام العام للخطر ولبقاء شبح

---

(١) الف المستر بلانت كتاباً أسماه « مستقبل الاسلام » أبان فيه مقاصد حكومة بلاده وأمانيها فى مستقبل الاسلام وبين أن مركز الخلافة يجب ان يكون مكة أو المدينة وان يكون الخليفة محتاجاً إلى حليف وهو انجلترا

الحرب ماثلا للانظار فى كل وقت .

فعلى أقطاب الأمم أن يحلوا المسئلة المصرية محلها من العناية . عليهم أن يتمسكوا بجعل مصر مستقلة لاسلطة لانجلترا فيها . وإلا كانوا كمن يقيم قواعد السلام على أرض من الرمل فلا يلبث بناؤه أن ينقش وتذهب جميع مجهوداتهم فى هذا السبيل هباء منثورا . عليهم أن يتلافوا أسباب الداء فيستأصلونها وألا يكتفوا بمداواة أعراضه وإلا عاد المرض بأشد مما كان .

لقد تناول السياسيون مسئلة مصر من قديم فلم يجدوا لها غير حل واحد هو الاستقلال . وجعل مصر للمصريين

فان لويس فليب ملك فرنسا أعلن للدول أبان حروب محمد على مع الباب العالى أن وجود محمد على السياسى (أى وجود مصر كدولة مستقلة) أمر ضرورى للتوازن الدولى وقال المسيو كارتييه فى أول يوليه سنة ١٨٣٩ ضمن خطبة له فى مجلس نواب فرنسا «يجب أن يدرج استقلال مصر فى قانون فرنسا

العام كمبدأ لا يقبل الجدل »[١]

وقال المسيو فريسينيه فى كتابه عن مصر ص٤٣٣ «ان من المبادىء الثابتة للسياسة الأوروبية أن لا تكون مصر تابعة لاحدي الدول فان فى امتلاكها اخلال بالتوازن الدولى وقضاء على مصالح الأمم الأخرى فى مصر . »

وخطب المسيو فريسينيه وزير فرنسا وقتئذ خطبة فى مجلس النواب قال فيها »[٢]

« ان مصر كما قرر الآن المسيو دى لافوس وكما أجمع السياسيون قبل هى عبارة عن ملتقي لطرق الدنيا فهى نقطة الاتصال بين أوروبا وآسيا وافريقيا وهى الطريق العظيم الموصل إلى جميع بلدان الشرق الأقصى وأن المسيطر عليها يتحكم فى معظم البحر الأبيض المتوسط — فليس هناك أدنى شك فى ما يصيب نفوذ فرنسا فى البحر الأبيض المتوسط من الضرر اذا تمكنت إحدى الدول من توطيد سيادتها على مصر فعلى فرنسا إذن أن تحول بكل قواتها دون ما يؤدى لمثل

---

(١) ، (٢) فريسينيه (المسئلة المصرية) ص ٧٦ وص ٣٦٦

هذه النتيجة »

وقال المسيو فيرى فى مجلس نواب فرنسا من خطبة له

« ان مسألة مصر مازالت ولن تزال مسألة أوربية قبل كل شيء وفوق كل شيء »

وقال الكولونيل شيمى لونج الأمريكى فى كتابه « مصر وأقاليمها الضائعة » ص ٢٦٢ . « يقول السير شارل ديلك ان مصر طريق دولى لتجارة جميع العالم - فمن أجل ذلك يجب أن يتقرر استقلالها فى مؤتمر يحضره جميع الدول الأوروبية »

ولما كانت المسألة المصرية كما قدمنا ذات تأثير كبير فى كيان السلام العام اجتمع لها « مؤتمر السلام الدولى العام » فى جنيف فى سبتمبر سنة ١٨٨٢ على أثر دخول انجلترا مصر وأصدر فيها القرار الآتى الذى ننقله بحروفه نظراً لأهميته وليرى الناس ان ما نقوله اليوم هو ما كان يقوله هذا المؤتمر فى سنة ١٨٨٢ وليروا أن الحل الذى نطلبه للمسئلة المصرية الآن وهو الاستقلال التام هو نفس الحل الذى طلبه من قبل . ويلاحظ أن هذا المؤتمر نظر الى المسألة

من وجهة قنال السويس فقط لأن نيات انجلترا فى انشاء امبراطورية أفريقية ونياتها فى آسيا ماكانت انكشفت وقتئذ واليكم قرار المؤتمر :

« وحيث أن قناة السويس التي تنقل فى الوقت الحاضر (سنة ١٨٨٢) سنويا مايربو على سبعة ملايين طن من البضائع والمتاجر (١) وما يزيد على ٨٠٠٠٠ سائح توفر على الجنس الانسانى من الوقت والمجهودات مايمكن تقديره على الأقل بمبلغ مليار ونصف من الفرنكات (٦٠ مليون جنيه) »

« وحيث ان أى تخريب لقناة السويس أو أى تقييد لحرية الملاحة فيها أو عاقة المواصلات التى تحصل بواسطتها يكون مصيبة تصيب كل الأمم وتشعر فى الحال بنتيجتها »

« وحيث ان كل محاولة من أية أمة لتختص نفسها بحق على قناة السويس أو على ملحقاتها فتنتفع بها وحدها أو تمتلكها أو تحميها أو تحافظ عليها أو تراقب شؤونها يجب

---

(١) بلغ صافى الحمولة الرسمية للبواخر التى مرت سنة ١٩١٤ قناة السويس ١٣٩٤٦٧٧٤ حسب الاحصاء الرسمي

اعتبارها إعتداء موجهاً الى الجنس البشرى كله ويجب بناء على ذلك أن يقضي على هذه المحاولة كما يقضى على القرصنة سواء بسواء»

« وحيث انه بناء على ذلك فان جميع الأمم لاسيما البحرية منها يتعين عليها ويحق لها أن تتحد فيما بينها بطريقة سلمية لتضع من النظامات ماتضمن للجميع حرية الانتفاع بالقناة وملحقاتها بطريقة هادئة أمينة»

« وحيث أن المؤتمر الذى عقد حديثا فى ترابيا (الاستانة) من ممثلى دول انكلترا وألمانيا والنمسا وفرانسا وإيطاليا والروسيا وتركيا قد اعترف بالواجب الذى على الأمم فى ذلك وما لهنّ من الحق وقرر هذا المبدأ باجماع الآراء»

« وحيث أن ضمانة حرية قناة السويس وملحقاتها وتوطيد الأمن فيها لا يمكن تحقيقهما الا إذا كانت على الحياد التام»

« وحيث أن الأمم الأوربية هى التى تملك تقرير هذا الحياد وحيث أن حياد قناة السويس يكون ناقصاً إذا كانت المصاعب التى تعترض تقرير هذا الحياد تحل بغير طريقة

التحكيم الذى تنفذ أحكامه قوة دولية مختلطة »

فلهذه الأسباب

« تعلن الجمعية أن مسألة حياد قناة السويس وملحقاتها هى مسألة دولية عامة وأن جميع الأمم المتمدينة يجب عليها ويحق لها أن تقرر هذا الحياد وتضمن سلامته »

« أما الحياد فمعناه فيما يختص بالقناة نفسها أن يكون المرور منها حر فى كل وقت وفى كل الأحوال وبأجر واحد وشروط واحدة لجميع السفن التجارية والحربية مهما كانت تبعيتها ومهما كان مشحونها وذلك على الشرطين الاساسيين الآتيين أولهما أن لاتقوم هذه السفن فى القناة أو فى ملحقاتها بأى عمل حربى سواء كان ذلك مباشرة أو بأية واسطة أخري وأن لاتنزل فى أى نقطة من القناة أو ملحقاتها جنوداً أو أسلحة أو ذخيرة من أى نوع كان »

« أما فيما يختص بملحقات القناة فمعنى هذا الحياد أن

يكون شاطئاها والمدن الواقعة عليها وموانئها وفروعها وترعها العذبة الآتية من النيل - أن يكون كل ذلك بعيداً عن أى إعتداء من أى مهاجم فى أى وقت من الأوقات وحينئذ لاتكون عرضة لاحتلال أو تخريب أو تعطيل أو تحويل أو سد لمجراها من أى نوع كانت»

« ولكى يكون حياد قناة السويس حياداً حقيقياً يجب أن تكون الاراضى المصرية أيضا على الحياد وكذلك مياه البحر الاحمر الذى هو فى الحقيقة امتداد للقناة نفسها »

« وإذا تقرر حياد الاراضى المصرية فان من نتائجه الضرورية اللازمة الاعتراف باستقلال الأمة المصرية وحكمها لنفسها إعترافاً مطلقاً من كل قيد »

« وإن هذا الاستقلال يستوجب حتما زوال سيادة تركيا عن مصر وإلغاء كل القيود التى قررتها معاهدة سنة ١٨٤٠ وكذلك إلغاء كل الفرمانات المقررة لهذه السيادة»

« ولكى تقرر إلغاء هذه المعاهدة وما يتبعها

من الفرمانات وحيادة قناة السويس وملحقاتها مع حياد البحر الأحمر بشاطئيه وحياد الأراضى المصرية ذاتها وإتخاذ الوسائل اللازمة لأقامة محكمة التحكيم الدولية وايجاد قوة دولية تضمن تنفيذ أحكامها — لكى تتمكن الدول من عمل كل ذلك يجب أن تؤلف الأمم الأوروبية مؤتمراً لا يقتصر على الدول العظمى التى تألف منها مؤتمر ترابيا . فقط بل يجب أن تدعى اليه جميع الأمم الأوروبية بغير استثناء لتناقش وتقرر ما تراه وكذلك تدعى اليه الامة المصرية لما لها من الحق الطبيعى الثابت الدائم »(١)

فهذا قرار مؤتمر السلام الدولى. أصدره منذ ستة وثلاثين عاماً . قرر بحق أن حياد قناة السويس لا يكون محترما إلا إذا كانت مصر مستقلة إستقلالا تاماً . قرر وجوب تأليف مؤتمر دولى من جميع الدول بدون استثناء لتقرير هذا الحياد ونظامه والاعتراف باستقلال مصر إستقلالا مطلقا

---

(١) يراجع كتاب (استقلال مصر والنظام الدولى لقناة السويس) تأليف فورنييه دى فلكس ص ٩٩ ، و ١٠٠ ص ١١١

قرر وجوب حضور ممثلين للامة المصرية فى هذا المؤتمر .

قرر تشكيل محكمة دولية لضمان هذا الحياد وهذا الاستقلال . قرر وجوب تأليف قوة دولية لتنفيذ أحكام هذه المحكمة الدولية

وفى سبتمبر سنة ١٨٨٢ نظر مؤتمر جمعية القانون الدولى فى توران المسألة فقرر أيضا وجوب جعل القناة وملحقاتها على الحياد

وانعقد مؤتمر السلام الدولى حوالى سنة ٩٠٩ أو سنة ٩١٠ فى مدينة استوكهلم فاظهر عطفه على الامة المصرية وقرر ادراج قضيتها ضمن أعماله لينظرها فى مؤتمره بروما فى اكتوبر سنة ٩١١ . ولكن هذا المؤتمر لم ينعقد بعد اجتماعه فى ستوكهلم بسبب الحروب التى قامت بين الدول وتوالت ويلاتها إلى الآن .

من ذلك نرى أن من المستحيل فصل القضية المصرية عن قضية قناة السويس لانهما يكونان معاً كلا غير قابل للتجزئة .

ولقد علمنا التاريخ كيف أن انجلترا خالفت مقتضى حياد القناة عند ماقتضت مصلحتها ذلك سنة ١٨٨٢ كما أنها خالفت مقتضاه إبان الحرب الروسية اليابانية . وللسياسيين آراء ثابتة فى هذا الموضوع فقد قال المسيو كلمنسوا ضمن خطبته فى مجلس نواب فرنسا سنة ١٨٨٢ ما ملخصه :

إنه لايصح بأى حال من الأحوال فصل مسئلة القناة عن المسئلة المصرية لأن مسئلتهما واحدة غير قابلة للتجزئة وقال فى موضع آخر من الخطبة مانصه : « إذا تضاربت مصالحنا مع مصالح انجلترا فى برزخ السويس . . . . واشتبكت هكذا فى حرب مع مملكة على شواطىء البحر الابيض ـ أتظنون أن انجلترا تتردد في الاستيلاء على قناة السويس ؟ ! أنها الآن فى جزيرتى مالطا وقبرص . احتلت مالطا بصفة مؤقتة من سنة ١٨١٥ (ضحك من المجلس) ودخلت قبرص فى ظروف تعلمونها ولم يكن دخولها طبعاً لغرض تمدينها . . . »

وقال المسيو فريسينية ص ٤٣١ من كتابه :لقدسبق ان صرحت برأيى هذا فطالما تحتل الجنودالانجليزية مصر فان المعاهدات التى تضمن حرية قناة السويس اثناءالحرب تكون فى الواقع عديمة القيمة »

وقال ص ٣٥٥ . ٣٥٦ : « فلو ان انجلترا اشتركت فى احدى الحروب لاستطاعت مصادرة القنال لأنه فى قبضتها ولأن البلاد تحت رحمتها . أما المعاهدات فهى حائل ضئيل بينها وبين تنفيذ غايتها فاتفافية ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ الخاصة بحياد القناة لا يمكن تحسينها ولا يجوز الاكتفاء بازالة قيودها (كما حصل فى إتفاق ٨ إبريل سنة ١٩٠٤) بل الواجب هو إزالة الاحتلال ذاته إذ لا ضمان لحرية القنال ما دام الاحتلال : هذه هى الحقيقة وما دونها وهم باطل »

هذا ولا يفوتنا أن نقول بوجوب تكليف مصر وحدها بالمحافظة على قناة السويس وبتنفيذ النظام الذى ترسمه له الدول وتكليف مصر بذلك هو نتيجة لازمة لاستقلالها

فضلا عن أنها ليس لها مطامع يخشى منها على القنال وقد حافظت على حياده منذ أنشىء إلى سنة ١٨٨٢ حتى ان عرابي نفسه لم يخالف موجبات هذا الحياد بالرغم من مخالفة انجلترا له

على أن فى معاهدة قناة السويس الواقعة فى أكتوبر سنة ١٨٨٨ مايبرر ذلك إذ أن المادة التاسعة منها تنص على تكليف مصر بالمحافظة على تنفيذ هذه المعاهدة .

i 14286683
B 12767141

81548

DT
107.6
M782x
1987

11 JUN 1987

FE '84

DT
107.6
M782x
1938